أهل البيت

منزلتهم ومبادئهم

بقلم

محمد جواد مغنية

رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية العليا

منشورات

مكتبة الاندلس

بيروت - لبنان

أهل البيت

منزلتهم ومبادئهم

بقلم

محمد جواد مغنية

رئيس المحكمة الجعفرية العليا

منشورات

مكتبة الاندلس

بيروت - لبنان

١٩٥٦

المقدمة

بسم الله وله الحمد ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه

أهل البيت

« هم عيش العلم وموت الجهل ، يخبركم حلمهم »
« عن علمهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، »
« لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه ، هم »
« دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام ، بهم »
« عاد الحق في نصابه ، وانزاح الباطل عن »
« مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا »
« الدين عقل وعاية ورعاية ، لا عقل سماع »
« ورواية ، فان رواة العلم كثير ورعاته قليل »

نهج البلاغة

رغب الي الاستاذ الكبير فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية أن أكتب فصلاً عن أهل البيت للجزء الاول من دائرة معارفه الذي حوى من ثمرات العقول أقصى ما وصلت اليه المواهب والكفاءات .

يعلم الاستاذ فؤاد أن عشرات الملايين من المسلمين تهوي

أفئدتهم لأهل هــذا البيت الكريم ، وأن لهم أثراً كبيراً في الحضارة الاسلامية وتاريخ العرب والمسلمين ، وتمشياً مع مبدئه من اختيار الموضوعات الهامة لدائرته ، وتكليف كل ذي اختصاص بما يدخل في نطاق اختصاصه أسند الي كتابة هذا البحث ، وقـد شعرت بالغبطة لهذا التكايف ، لأن اثره يمتد ويتسع مع ذاك السفر الخالد .

ومنذ القديم الى يومنا هذا ، والمؤرخون وأهل السير يكتبون في مناقب أهل البيت ، وستظل الاقلام تسطر عظمتهم ما كان للعظمة من ذكر ؛ فلقـد استوقفت تعاليمهم الباحثـين من أمم مختلفة ، لأنهم وجدوا فيها عظمة الله ، وهيبة الحق ، وقوة العلم ، وكرامة الانسان ، واحترام الحياة ، وجلال الكون ؛ فاستلهموها واتخذوا منها مقياساً للحق والفضيلة ، ومصدراً للعلم والتشريع .

كتبت هذه الاوراق المتواضعة في منزلة أهل البيت عنـد جدهم الرسول (ص) ، وعند المسلمين ، واخلاقهم ، واحتجاجاتهم ، ونظرتهم الى المال ، وما الى ذلك ، وأشرت الى الفرق المواليـة لهم ، وبخاصة الامامية ، ثم لخصتها في فصل طويل نشر في الدائرة ، واذا رأى القاريء الكريم أن ما في كتب المناقب أكثر بكثير مما ذكرت فان ذلك يعود الى أمرين :

الأول : ان الغاية التي ابتغيها من هذه الأوراق لا تتناول الا ما يتصل بمنزلـة أهل البيت ومبادئهم ، عـلى أني لا أدعي أني أتيت بكل ما قيل ، و ما يمكن أن يقال في هذا الباب ، وحسبي أني لم اذكر الا ما يستسيغه العقل ، ويطمئن اليه الضمير ، ولا يرتاب به انسان مؤيداً كان أو معاندا .

الثاني : ان موضوع أهل البيت تتفرع عنـــه بحوث شتى تتصل بحياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولا يتسنى لانسان كائناً من كان أن يخوض هذا الميدان لوحده ، وإن حاول فعليه أن يعمل دهراً طويلاً ، ولا يشرك مع جهده في هذه السبيل أي عمل آخر ، وهيهات أن يبلغ ! ولله در القائل :

آل الرسول ونعم أكفا ء العـلى آل الرسول
خـير الفروع فروعهم وأصولهم خير الاصول

* * *

وثنـاي أقصر قاصر وأقل شيء من قليل
والعجز ذنبي لا عـدو لي عن اخ البر الوصول
وانا المقصر كيف كنـ ـت فهل لعذر من قبول

والحمد لله المتفضل بالعفو عمن اعترف واعتذر .

محمد جواد مغنيه

من هم آل البيت

آل الرجل أهله ، ولا يستعمل الا فيما فيه شرف ، فلا يقال آل الحائك ، بل يقال أهله [1] .

ويقال آل الرجل لمن كان على دينه ، ومنه قوله تعالى « واغرقنا آل فرعون . . كدأب آل فرعون . . اخذنا آل فرعون » . وتستعمل كلمة آل في السراب ، ومنه قول بعض الشعراء يهجو بخيلا :

إني لأعلم أن خبزك دونه
نكد البخيل ودونه الاقفال
واذا انتجعت لحاجة لم تقضها
واذا وعدت فان وعدك آل

اي سراب ، وقال صاحب مجمع البيان في تفسير الآية ٢٤٨ من سورة البقرة « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » : قيل :

---

(١) كتاب اقرب الموارد .

أراد بآل موسى وآل هارون موسى وهارون عـــلى نبينا وعليهم السلام ، يعني مما ترك موسى وهارون ، تقول العرب آل فلان يريدون نفسه ، وقال جميل :

بثينة من آل النساء وانما يكن لأدنى لا وصال لغائب

اي بثينة من النساء .

وتستعمل أهل فيما استعمل فيه آل ، ولكن أهل اكثر شيوعاً واستعمالا ، تقول الناس : أهل الشام وأهل العراق ، ولا يقولون : آل الشام وآل العراق ، سوى أن آل لا تستعمل في أهل الرجل الا اذا كان له مكانة كما قدمنا .

وقد جاء لفظ أهل البيت في آيتـين من القرآن الكريم : الاولى الآية ٧٣ من سورة هود « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت » والثانية الآية ٣٣ من سورة الاحزاب « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهـل البيت ويطهركم تطهيرا » واتفق المفسرون أن المراد بالآية الاولى أهل بيت ابراهيم الخليل (ع) وبالآية الثانيــة أهل بيت محمد بن عبد الله ﷺ ، وتبعا للقرآن استعمل المسلمون لفظ أهل البيت وآل البيت في أهـل محمد فقط ، واشتهر هذا الاستعمال حتى صار اللفظ علماً لهم ، بحيث لا يفهم غيرهم الا بالقرينة ، كما اشتهر لفظ المدينة بيثرب مدينة

الرسول (ص) والشيخ الرئيس بابن سينا ، والمعلم الثاني بالفارابي .

اختلف المسلمون في عدد ازواج النبي ، فمن قائل بأنه تزوج بثماني عشرة امرأة ، ومنهم قال بأنهن إحدى عشرة ، وعلى أي الأحوال فقد أقام مع النساء سبعا وثلاثين سنة ، ولد له خلالها ثلاثة ذكور القاسم والطاهر وابراهيم ، واربع بنات ام كلثوم ورقية وزينب وفاطمة ، وام ابراهيم مارية القبطية ، والبقية امهم خديجة بنت خويلد ، وتزوج زينب ابو العاص بن ربيعة ، وهو من بني أمية ، وتزوج ام كلثوم عثمان بن عفان ، ولما ماتت عنده زوجه رسول الله (ص) مكانها رقية ، وتزوج فاطمة الامام علي (ع) ومات اولاده كلهم في حياته ما عدا فاطمة [1] .

قال صاحب مجمع البيان في تفسير آية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت : قد اتفقت الأمة بأجمعها على انه المراد باهل البيت في الآية أهل بيت نبينا ، ثم اختلفوا ، فقال عكرمة : أراد ازواج الرسول ، لأن أول الآية متوجهة إليهن ، وقال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك وواثلة بن الأسقع وعائشة وام سلمة : إن الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن

---

(١) المجلد السادس من كتاب بحار الانوار للعلامة المجلسي .

والحسين (ع) . ثم قال صاحب المجمع : إن ثبوت عصمة المعنيين بالآية يدل أن الآية مختصة بهؤلاء الخمسة ، لأن من عداهم غير مقطوع بعصمته . واذا قال قائل : إن قبل الآية وما بعدها جاء في حق أزواج النبي ﷺ فنقول : إن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ، ويعودون اليه ، والقرآن من ذلك مملوء ، وكذلك كلام العرب واشعارهم » .

وعلى أي الأحوال فانه لا أهمية لقول من قال بأن ازواج النبي ﷺ من اهل البيت ، إذ لا توجد فرقة من المسلمين تدين بالولاء لاحدى أزواج الرسول ، وتوجب الاقتداء بها ، وقال العباسيه ، وهم الذين ذهبوا الى ان العباس عم النبي هو الخليفة لابن اخيه محمد ، قالوا : إن العباس وبنيه من أهل البيت ايضاً ، وهذه الفرقة انقرضت بانتهاء دولة العباسيين ، لأنها لم تبن على أساس من الدين ، فالعباس نفسه عرض بعد وفاة الرسول على ابن اخيه علي أن يبايعه بالخلافة ، وكان ولده الاكبر عبد الله من اتباع الحسن والحسين .

لقد نشطت الدعوة الى أبناء علي في آخر العصر الاموي ، وأتاح هذا النشاط لبني العباس أن يجهزوا على عرش الأمويين ،

ولكنهم استأثروا بالسلطان وحدهم دون العلويين ، فأعلن الشيعة أن العباسيين كأسلافهم ظالمون ، فاضطهدهم العباسيون ونكلوا بهم وبأئمتهم ، وحاولوا بشتى الأساليب ان يثنوا المسلمين عن تقديس علي وبنيه ، فأوعزوا الى المرتزقة من رجال الدين والشعراء بأن يبثوا الدعوة الى أن العباسيين من أهل البيت ، وأنهم حكام شرعيون يحق لهم أن يخلفوا النبي ﷺ في تدبير شؤون المسلمين ، ولم يخف الهدف من هذه الدعوة على جمهور المسلمين فضلاً عن خواصهم ، ولهـــذا اختفى اثر الفرقة العباسية منذ انتهى أمر العباسيين .

ومهما اختلف المسلمون فان كلمتهم واحدة على ان شجرة النسب النبوي تنحصر فروعها في ابناء فاطمة ، لأن النبي ﷺ لم يعقب الا من ولدها ، أما بنو العباس وبنو عقيل وجعفر وبنو علي من غير فاطمة فانهم من آل هاشم جدهم وجد النبي ﷺ ، وليسوا من آل الرسول ، لأن نسبهم لا ينتهي اليه .

الحجاج ويحيى بن يعمر

قال الشعبي : كنت بواسط ، وكان يوم أضحى ، فحضرت صلاة العيد مـع الحجاج ، فخطب خطبة بليغـة ، ولما انصرفت

جاءني رسوله، وعندما دخلت عليه قال: يا شعبي، هـذا يوم أضحى، وقد أردت أن اضحي فيـه برجل من أهل العراق، وأحببت أن تسمع قوله، لتعلم أني اصبت الرأي فيما أفعل.

فقلت أيها الأمير كان رسول الله ﷺ يضحي بكبش، فاستن انت بسنته.

قال: اذا سمعت ما يقول صوبت رأيي فيه، لكذبه على الله ورسوله، وإدخاله الشبهة في الاسلام.

ثم أمر الحجاج بالنطع والسياف فاحضرا، فقال احضروا الشيخ، فاتوا به، واذا هو يحي بن يعمر، فاغتممت غماً شديداً، وقلت في نفسي ماذا فعل هذا حتى يقتل!

فقال له الحجاج: أنت فقيه أهل العراق.

فقال يحي: أنا من فقهائهم.

قال الحجاج: كيف زعمت أن الحسن والحسين من ذريـة رسول الله ﷺ!

قال يحي: ما انا بزاعم ذلك، بل قائله بحق.

قال الحجاج: وأي حق!

قال يحي: كتاب الله نطق بذلك.

قال الحجاج: لعلك تريد قول الله عز وجل «فمن حاجك

من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنـــاءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » وأن رسول الله خرج للمباهلة ، ومعه علي وفاطمـــة والحسن والحسين .

فقال يحي : والله إنها لحجة بليغة ، ولكني مع ذلك لا أحتج بهـــا .

قال الحجاج : إن جئت بغيرها من كتاب الله فلك عشرة آلاف درهم ، والا قتلتك ، وكنت في حل من دمك .

قال يحي : نعم ، وتلا الآيـة ٨٣ من سورة الانعام « ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكرياويحي ... والياس كل من الصالحين » .

فقال له الحجاج،وكان حافظاً للقرآن : وأين تركت عيسى !

قال يحي : ومن أين كان عيسى من ذريـــة ابراهيم ، ولا أب له !

قال الحجاج : من قبل أمه مريم .

قال يحي : أيكون عيسى من ذرية ابراهيم بواسطة امـــه مريم ، وبينهـــا وبينه ما تعلم من الاجداد ، ولا يكون الحسن

والحسين من ذرية الرسول بواسطـة امهما فاطمة، وهي ابنته بلا واسطة !

وكأنما ألقم الحجاج حجراً ، وقال : اطلقوه واعطوه عشرة آلاف درهم لا بارك الله له فيها .

وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : « الآية تدل على أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ ، لأنه سبحانـه وتعالى جعل عيسى من ذرية ابراهيم مع أنه لا ينتسب الى ابراهيم الا بالأم، فكذلك الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ » .

سيرة النبي مع أهل بيته

●

اذا أردنا أن نعرف منزلة أهل البيت عند المسلمين والباعث على تكوين بعض الفرق الاسلامية وايمانها بأهل البيت ، فعلينا ان نلاحظ منزلة محمد ﷺ عند المسلمين ، وسيرتـه مع اهل بيته وأن نلاحظ مع ذلك أخـــلاق اهل البيت انفسهم ومـا أصابهم من المحن في سبيل تمسكهم بالحق والعدل والاخلاق .

إن حقيقة الاسلام هي الشهـــادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة « لا اله إلا الله محمد رسول الله » فمن أقر لله بالوحدانية ، وجحـد رسالة محمد ، أو نسب صفات الخـالق الى غير الله ، أو صفات النبوة الى غير محمد ممن كان في عصره او بعد عصره ، أو جحد آية من القرآن أو سنة ثابتة بالضرورة من سنن النبي فلا يصح عده من المسلمين ، لانه لا يحمل الطابع الرئيسي للاسلام . فالمسلم اذن من آمن بالله وبمحمد وقرن طاعته بطاعته ، وبهـذا نطقت الآية ٦ من سورة الاحزاب « اطيعوا الله واطيعوا الرسول »

والآيـة ٦٢ من سورة التوبة «والله ورسولـه أحق ان ترضوه» والآية ٦٢ من سورة النساء «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» والآية ٣ من سورة النجم «ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» وما الى ذلك من عشرات الآيات.

كان النبي ﷺ كما وصفـه القرآن في الآيـة ١٥٩ من سورة آل عمران «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» والآية ١٣٩ من سورة التوبة «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنـين رؤوف رحيم» والآية ١٠٧ من سورة الانبياء «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين». فاذا عرفنا أن نفس النبي وسعت الرحمة والعطف على القريب والبعيد، والقوي والضعيف عرفنا كيف كان يعطف على أهل بيته واعز الناس عليه، وكيف كان يعطف عـلى فاطمة البقية الباقية من أبنائه وبناته الذين فجع بهم في حياته ولم يتعوض من فقدهم ما يعزيه سواها وسوى من في بيتها، وقد نقل اصحاب السير والمناقب من السنة والشيعة صوراً كثيرة لهـــذا العطف والحب، نكتفي بالاشارة الى بعضها:

ـــ كان النبي اذا سافر، فآخر بيت يخرج منه بيت فاطمة، واذا رجع من سفره فأول بيت يدخلـــه بيتها، يجلس ويضع

الحسن على فخذه الأيمن ، والحسين على فخذه الآيسر يقبل هـذا مرة وذاك أخرى ، ويجلس علياً وفاطمة بين يديـــــه ، وجاء في الحديث أنـه دخل مرة بيت فاطمة ودعاهـا ودعا علياً والحسن والحسين ، ولف عليه وعليهم كساء وتـلا الآية « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت،ويطهركم تطهيرا » . والمسلمون يسمون هذا الحديث بحديث الكساء ويطلقون لفظ « أصحاب الكساء » على محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وقال لهم مرة : أنا سلم لمن سالمكم ، وحرب لمن حاربكم . وما الى ذلك من الاحاديث المشهورة عند جميع الفرق الاسلامية ، وقد أوصى النبي ﷺ أمته بأهل بيته ، وواساهم بالقرآن ، ففي الحديث « اني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله : فيه الهدى والنور ... ثم قال : واهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي » وفي الآية ٢٣ من سورة الشورى « قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » والمراد بالقربى قرابة النبي .

وركب الحسن على ظهر جده، وهو ساجد في الصلاة ، فرفعه النبي ﷺ رفعاً خفيفاً ، ولما فرغ من الصلاة وضعـه في حجره فكان يدخل أصابعـه في لحيته ، والنبي يضمه ويقبلـه ، ويقول : اللهم اني احبه .

وسار النبي مرة ، وهو يحمل الحسن فقابله رجل فقال : نعم المركب ركبت يا غلام . فقال النبي : ونعم الراكب هو .

وخرج يوماً من بيت زوجته عائشة فمر ببيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي فمس بكاؤه شغاف قلبه ، فهرع الى فاطمة وقال لها : ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني .

وفي ذات يوم بينا يخطب النبي ويعظ المسلمين في مسجده جاء الحسن والحسين الى جدهما ، وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فلم يتمالك النبي نفسه ، وترك الوعظ ونزل إليهما فأخذهما وعاد الى المنبر ، وهو يضمهما ويشمهما ثم وضعهما في حجره ، وقال : صدق الله العظيم، إنما اموالكم واولادكم فتنة .

منزلة أهل البيت عند المسلمين

•

اوصى القرآن بمودة اهل البيت، وامر النبي باتباعهم حيث ساواهم بكتاب الله، لذا أولاهم المسلمون على اختلاف فرقهم قسطا كبيراً من الرعاية والتبجيل، وكان لهم عند أبي بكر من التعظيم والاكبار ما لم يكن لأحد غيرهم، وكان عمر بن الخطاب يؤثرهم على جميع المسلمين، فرض لأبناء البدريين من العطايا ألفين ألفين في السنة الا حسناً وحسيناً فرض لكل واحد منهما خمسة آلاف .

وروي أن الحسين بن علي قال : أتيت عمر ، وهو يخطب على المنبر فصعدت اليه ، وقلت له انزل عن منبر أبي ، واذهب الى منبر أبيك ، فقال عمر لم يكن لأبي منبر . وأخذني فأجلسني معه أقلب حصى بيدي ، فلما نزل انطلق بي الى منزله ، فقال لي : من علمك ، قلت: والله ما علمني أحد، قال: بأبي لو جعلت تغشانا. فأتيته يوماً ، وهو خالٍ بمعاوية ،وابن عمر بالباب فرجع ابن عمر ورجعت معه، فلقيني بعد هذا ، وقال لي: لم أرك ، فقلت: إني جئت

وأنت خالٍ بمعاوية فرجعت مع ابن عمر، قال: أنت أحق من ابن عمر ، فانما أنبت ما ترى في رؤسنا الله ثم أنتم .

وانتقل الحكم بعد الخلفاء الراشدين الى الأمويين أعداء آل الرسول ، ومنهم الى العباسيين الذين فاقوا الأمويين تقتيلاً وتنكيلا بأهل البيت وشيعتهم ، حتى قال شاعرهم :

ياليت جور بني مروان دام لنا
وليت عدل بني العباس في النار

ولكن المسلمين لم يكونوا على دين ملوكهم في بغض العترة الطاهرة ، بل على دين نبيهم في حب آله وتقديسهم ، حتى الذين قاتلوا الحسين في كربلاء خوفاً من يزيد وابن زياد كانت سيوفهم على الحسين وقلوبهم معـــه ، كما قال الفرزدق ، بل حتى الولاة الموظفون عند الخليفة كان منهم من يخطب على المنابر في الجمع والأعياد باسم الخليفة تبعاً لمصلحته ، وهو يؤمن في قرارة نفسه بحق أبناء فاطمة ، ويتشيع للأئمة الأطهار ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى .

منها ان الطاهريين كانوا يتولون أمر خراسان من قبل المأمون وقلوبهم مع آل البيت . فقد انهزم اختياراً سليمان بن عبد الله ابن طاهر حين حارب الحسن بن زيد في طبرستان .

ومنها ان رجلاً من أهل الري كان يتشيع ، وكان عليه أموال كثيرة للخزينة ، وقد طالبه بها الوالي من قبل الخليفة العباسي ، وألح بالطلب ، وأراد مصادرة أملاكه ، فقال له أحد أصحابه : إن الوالي يكتم التشيع مثلك ، فاذا ذهبت اليه ، وأخبرته بعقيدتك أرفق بك ، قال الرجل المطلوب : خفت أن أمضي اليه فلا يكون كذلك ، فذهبت الى الامام موسى بن جعفر (ع) فشكوت اليه ، فأصحبني بكتاب ، ولم يزد حرفاً على هذه الكلمات :

بسم الله الرحمن الرحيم . إعلم أن لله عرشاً لا يسكن تحت ظله إلا من أسدى الى أخيه معروفاً او نفس عنه كربه أو أدخل على قلبه سروراً ، وهذا اخوك والسلام .

قال مضيت الى الوالي ليلاً ، واستأذنت عليه وقلت : رسول الامام موسى الكاظم فضمني اليه وقبلني ، وأجلسني في صدر المجلس ، وجلس هو بين يدي ، فناولته الكتاب فقبله وقرأه قائماً ، ثم استدعى بماله وثيابه ، وقاسمني ديناراً ديناراً ، ودرهماً درهماً ، وثوباً ثوباً ، وقال لي : يا اخي هل سررتك ، فقلت: أي والله وزدت علي السرور ، ثم أسقط عني المال وأعطاني براءة بذلك ، فودعته وانصرفت الى الامام فحدثته بما جرى فتهلل وجهه فرحاً ، وقال: لقد سر الله في عرشه وسر محمداً في قبره .

ومنها ان المتوكل كلف ابن السكيت بتأديب ولده المعتز بالله ، وكان هذا الشيخ من عظماء الشيعة ولكنه كان يكتم التشيع حسبما يظهر من اختيار المتوكل لـــه ، لأن المتوكل معروف باغراقه في العداوة لعلي وبنيه ، وفي ذات يوم قال له المتوكل : أيهما أحب اليك ، ابناي هذان ، اي المعتز والمؤيد ام الحسن والحسين ، فلم يملك الشيخ نفسه ،وقال له :والله إن قنبراً خادم علي بن ابي طالب خير منك ومن ابنيك ، فأمر المتوكل أن يخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا ومات . ومن الغريب أن هذا الشيخ قد حذر من عثرات اللسان حيث قال :

يصاب الفتى من عــــثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه
وعثرته في الرجل تبرا عـــلى مهل

وسبيل المداراة مع المصلحة يسلكها العارفون ، فينتفعون وينفعون دنيا وآخرة ، إذا لم يخرجوا من الحق ، ولم يدخلوا في الباطل . كان لفرعون ابن عم آمن بموسى في الباطن ، وبقي مع فرعون في الظاهر ، يقضي مصالح الضعفاء ، ويدافع عن الطيبين، وقد مدحه الله في كتابه العزيز ، وسماه بالمؤمن في الآيـــة ٢٨

« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » ثم سميت السورة بكاملها بهذا الأسم من أجله .

إن حب آل البيت لم يختص بطبقة دون طبقة ، أو فرقة دون فرقة ، فقد اتحدت قلوب المسلمين جميعاً على حبهم، وبخاصة رجال الدين، ومن تتبع سيرة أئمة المذاهب الأربعة لمس إخلاصهم لعلي وابناء علي ، كان ابو حنيفة يحب أهل البيت ، ويبذل لهم الأموال الطائلة ، وأفتى بنصرة زيد بن علي ، وحمل الأموال إليه، كما أفتى بالخروج مع ابراهيم بن عبد الله الحسني لحرب المنصور، وضرب ابو حنيفة بالسياط وحبس وعذب ، وأخيراً سقاه المنصور السم فمات ، كل ذلك في سبيل حبه لأبناء الأمام علي ، وبغض أعدائهم . وقال بعض المؤرخين : إن ابا حنيفة ضرب وعذب ، لأن الخلفاء طلبوه ليتولى منصب القضاء فامتنع . وهذا القول لا يقبله عاقل ، لأن طلبهم إياه للقضاء يدل على التعظيم ، وضربه بالسياط وحبسه يدل على التحقير فكيف يمكن الجمع بينهما ، ومن القريب الجائز أن يكونوا قد عرضوا عليه القضاء ليسكت وينصرف عن آل البيت ، فلما أبى نكلوا به ، إذن التنكيل كان لغاية سياسية وهي حبه لأهل البيت الذين يمثلون الحزب المعارض ، لا من أجل امتناعه عن القضاء

وحث الامام مالك على خلع المنصور، والخروج عليه، وأفتى من بايعوه بفساد البيعة، لأنهم بايعوا مكرهين، ولا بيعة لمكره، وضربه المنصور بالسياط كما ضرب ابا حنيفة، وسيأتي أنه كان هو وابو حنيفة من تلامذة الامام جعفر الصادق (ع).

أما الشافعي فحبه لأهل البيت أشهر من أن يذكر، وقد أغرق في هذا الحب حتى قيل إنه رافضي، ومن شعره:

يا أهل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم
من لا يصلي عليكم لا صلاة له

...

يا راكباً قف بالمحصب من منى
واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً اذا فاض الحجيج الى منى
فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان اني رافضي

...

اذا في مجلس ذكروا عليـــا
وشبليـــه وفاطمـــة الزكية
يقـــال تجاوزوا يا قوم هـــذا
فهـذا من حـــديث الرافضية
هربت الى المهيمـــن من أنـــاس
يرون الرفض حب الفاطميـــة
عـــلى آل الرسول صلاة ربي
ولعنتـــه لتلـــك الجاهليـــة

...

ولما رأيت الناس قـــد ذهبت بهم
مذاهبهم في أبحر الغي والجهـــل
ركبت على اسم الله في سفن النجا
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حب الله وهو ولاؤهم
كما قـد أمرنا بالتمسك بالحبل

...

قـــالوا: ترفضت؟ قلت: كـــلا
ما الرفض ديني ولا اعتقـــادي

ولكن توليت غير شك
خير امام وخير هادي
إن كان حب الولى رفضا
فانني أرفض العباد

وسئل الشافعي عن الامام علي (ع)، فقال : ما أقول في رجل أسرّ أولياؤه مناقبه خوفا، وكتمها أعداؤه حنقا، ومع ذلك شاع منها ما ملأ الخافقين.

أما الامام ابن حنبل فكتابه مسند احمد مشحون بفضائل علي، ويقال إنه الف كتاباً كبيراً في فضائل أهل البيت، وإن نسخة منه كانت في خزانة مشهد الامام بالنجف، ونقل أيضاً أنه تتلمذ على الامام موسى الكاظم

وما عرف التاريخ أهل بيت أحبهم الناس من قوميات، ومذاهب عديدة كآل البيت، أحبوهم أحياء وأمواتاً، فألف العلماء الكتب في منزلتهم وعظمتهم، ونظم الشعراء الدواوين والقصائدفي مديحهم، وردد الخطباء فضائلهم في المحافل وعلى المنابر، وتفد الجماهير الى مقاماتهم ومقابرهم في كل سنة بالألوف، وما من مسلم في شرق الارض وغربها يصلي لله إلا يذكر محمداً وآله بالصلاةوالتسليم، وهذه الأسماء الشائعة الذائعة:

محمد وعلي وفاطمة وحسن وحسين لم يكن الباعث على التسمية بها إلا التبرك والتيمن باسماء آل البيت ، أحبهم الناس من كل أصل وجنس ؛ ومن كل الطبقات الأقوياء والضعفاء في كل زمان ومكان ، بل وجد من الامويين من يحب آل البيت ، منهم عمر ابن عبد العزيز . كان بنو أمية يوجبون سب علي على المنابر ، فلما ولي الخلافة أمر بترك السب ، وان يذكر مكانه « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » ، وغضب الامويون لذلك ، وقالوا لو علم الناس فضل علي لتفرقوا عنا ، ومدحه كثير عزة بأبيات منها :

تكلمت بالحـــق المبين وإنما
تبين آيـات الهـــدى بالتكلم
وصدقت معروف الذي قلت بالذي
فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

ومنهم ابو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني كان أموياً محباً لآل الرسول ، ومنهم الشاعر عبد الله أبو عدي المعروف بالعبلي ترجمه صاحب الأغاني في الجزء العاشر ، وقال في ترجمته : كان ابو عدي الأموي الشاعر يكره ما يجري عليه بنو أمية من سب علي ، ويظهر الانكار ، فشرده الاميون فقال :

شردوا بي عند امتداحي عليا
ورأوا ذاك فيّ داء دويا
فوربي ما أبرح الدهر حتى
تختلي مهجتي بحبي عليا
ونبيه لحب احمد اني كنت
أحببتهم بحبي النبيا
حب دين لا حب دنيا وشر ال
حب حب يكون دنياويا
صاغني الله في الذؤابة منهم
لا زنيماً ولا سنيداً دعيا

ومنهم معاوية بن يزيد بن معاوية، نقل عن الدميري في حياة الحيوان أنه لما بويع بن يزيد بعد أبيه بالخلافة صعد المنبر، وقال من خطبة طويلة:

إن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره، لقرابته من رسول الله وعظم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً، وأشجعهم قلباً، واكثرهم علماً، وأولهم إيمانا، وأشرفهم منزلة، وأقدمهم صحبة، ابن عم الرسول وأخوه وصهره وزوج ابنته، وأبو سبطيه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة

وأفضل الأمة من الشجرة الطيبة الزكية، فركب جدي معاوية معه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون ... ثم انتقلت الخلافة إلى ابي يزيد فتقلد أمركم لهوى أبيه، وكان غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ فركب هواه، وتجرأ على الله بما استحل من حرمة اولاد رسول الله، فقلت مدته، وأنقطع أثره، وضاجع عمله، وصار حليف حفرته رهين خطيئته. ثم قال: فشأنكم أمركم فخذوه، ومن رضيتم به فولوه، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام.

ولما نزل عن المنبر وبخه أقاربه، وقالت له أمه: ليتك كنت حيضة، ولم أسمع بخبرك، فقال: وددت والله ذلك.

وقال الأمويون لمعلمه ومؤدبه عمر المقصوص: أنت علمته حب علي وأولاده، وأخذوه فدفنوه حياً، ثم دسوا السم لمعاوية فمات.

وفي حكم معاوية بن ابي سفيان وولده يزيد، وولاية الحجاج بن يوسف على العراق كان سبيل من يتهم بحب آل البيت القتل او الضرب او السجن او التشريد، ولكن هذا الضغط قد زاد الناس إيماناً وتمسكاً بحبهم وولائهم، وقتل معاوية خلقا كثيراً ممن أبى أن يلعن عليا، ويتبرأ منه، او عارض

مبدأ اللعن والبراءة ، وكان الامام عالماً بما سيلحق شيعته بعد وفاته ، فقال لهم : ستدعون الى سبي فسبوني ، ثم تدعون الى البراءة مني فاني لعلى دين محمد ﷺ[1] . ومع ذلك فضل جماعته القتل على السب والبراءة ، بل فضلوا القتل على سماع المس من مقام الامام ، منهم عمرو بن الحمق الصحابي الجليل ، قتله معاوية ، وبعث برأسه الى امرأته ، فوضعت الرأس في حجرها ، وقالت لرسول معاوية : سترتموه عني طويلا ، وأهديتموه لي قتيلا ، فأهلاً وسهلاً من هدية غير قالية ولا بمقلية .

ومنهم حجر بن عدي وأصحابه ، وكان حجر من أصحاب الرسول، وفد عليه هو وأخوه هاني مع من وفد من قومهما، قتل معاوية حجراً ، لانه عارض معارضة شريفة ، وطالب أن يترك للناس حرياتهم ، ولا يكرههم على شتم الاولياء الصالحين ، وكانت هذه المعارضة تعبر عن رأي الشعب على اختلاف طبقاته وميوله ، لذا كان لقتله صدى بعيد في أقطار الارض ، وعلى كل لسان، وهمت عائشة أن تثور لقتل حجر ، وقال الشعراء في ذلك فأكثروا ،

---

(١) وفي رواية ثانية فلا تتبرأوا مني . ولكن الشيخ الانصاري رجح الرواية الاولى في ملحقات المكاسب — باب التقية — .

وخاف معاوية من الثورة ، وأصابه قلق ممض ، وقصة هذه المحنة مفصلة في كتب السير والتاريخ ، ولكني لم أجد من وفاها حقها كالدكتور طـــه حسين في كتاب ـــ علي وبنوه ـــ فانه ينتقل بالقارىء الى زمان الفاجعة ومكانها ، يسمعه تلك الصيحات والاحتجاجات، ويجعله يحس ويشعر بما كان يشعر به كل مسلم من النقمة على معاوية وعماله ، وكيف تكشف للكبير والصغير والقريب والبعيد أن الملك عند معاوية فوق الدين والانسانية والمروءة .

وقتل ابن زياد والحجاج على حب أهل البيت الوف الرجال وفيهم الصحابي والتابعي والفقيه والزاهد والمحدث ، واخبار ذلك متواترة في كتب التاريخ والتراجم ، نذكر على سبيل المثال مافعله الحجاج مع الفقيه الزاهد سعيد بن جبير :

قال الحجاج لسعيد : أعلي في الجنة او في النار ! . . فلم يجب سعيد بغير البكاء ، فأمر الحجاج باحضار الذهب والفضة وقال لسعيد : أتحب أن لك شيئاً منه . قال سعيد : لا أحب ما لا يحبه الله . ولما يئس الحجاج أن يستميله بالمال أمر بقتله ، فقال سعيد : أشهدك يا حجاج أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله . فقال الحجاج أقتلوه ، فضحك سعيد ، قال الحجاج ما يضحكك ؟

قال: جرأتك على الله ، وحلمه عليك . وطلب سعيد أن يصلي لله ، فاستقبل القبلة ، وقال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين . ولما قتل قال الحسن البصري : والله لو اشترك اهل المشرق والمغرب في قتله لأكبهم الله على وجوههم في النار .

وكان الحجاج يرى سعيداً في المنام قابضاً على تلابيبه ، ويقول له : يا عدو الله فيما قتلتني ، فيستيقظ مذعوراً ، ويصيح مالي ولسعيد !

وأفاض الشعراء بمدح آل الرسول ، ونشر فضائلهم في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته الى يومنا هذا ، ومنهم من لاقى من التعذيب والتنكيل ما لاقاه العلماء والشيوخ في هذه السبيل ، وبالتالي فان منزلة أهل البيت عند المسلمين تأتي بعد منزلة النبي بلا فاصل ، وقد يتغاضى المسلم عمن يشتم عرضه وامه واباه ، أما اذا مس مقام الرسول او أحد أهل بيته فانه يثور ويضحي بالنفس والنفيس .

وإذا التمسنا تفسيراً لهذه المودة والتعظيم وجدناه في الدين والعقيدة ، في كتاب الله وسنة نبيه ، وجدناه في علومهم وشمائلهم ، فانهم لم يرثوا عن النبي ﷺ شرف الانتساب اليه فحسب ،

وإنما ورثوا علومه وشمائله . وأحب الخلق للمسلم بعد النبي من أحبه النبي ، أو حفظ شيئاً من علومه أو عمل بأوامره أو اتصف ببعض صفاته ، فكيف بأقرب الناس اليه، وأحبهم لديه ، ووارثي علومه وأخلاقه ، وأمنائه على دينه وشريعته .

من خصائص آل البيت

•

إن قوانين الاسلام واحكامه من الصيام والصلاة الى العقود والموجبات إلى الاحوال الشخصية الى العقوبات كلها عامة تشمل كل بالغ راشد تقياً كان او شقياً ، عالماً او جاهلاً ، حسيباً او غير حسيب ، فليست الشريعة لصالح فئة دون فئة ، او فرد دون فرد ، وقال العلماء في كتب أصول الفقه : إن التعاليم الواردة في الكتاب والسنة لا تختص بمن سمعها من الرسول الأعظم ، ولا بمن وجد في عهده ، بل تعم الغائب والحاضر ، ومن وجد ويوجد من غير استثناء ، فلا فرق بين أهل البيت وغيرهم من حيث انهم مكلفون بطاعة الله، وامتثال أوامره وتعاليمه، وإنما الفرق، انهم أعلم الناس بتلك التعاليم ، وأسبقهم الى العمل بها ، و بثها وانتشارها ، وأنهم الدعاة الهداة اليها، فمن أخذ عنهم فقد أخذ عن النبي ، لأنهم ورثة علمه ، وأمناء شرعه ، وأهل بيته ، وأهل البيت ادرى بما فيه

من الجار القريب والتابع الحبيب.

لقد رأينا أبناء النبلاء يتكاسلون ولا يعملون ، بل رأيناهم لا يتناهون عن منكر اتكالاً على الأمجاد مرددين « كان أبي ».ولله در الجواهري حيث يقول :

وتنابزوا بالجاهلية شجها
من قبل نور الفكر والاسلام
قبلية يلجا إليها مقعد
لا الحزم ينجده ولا الاعزام
وبها تستر عن صغارة نفسه
خزيان يأكل زاده وينام
ومحمد رفعت رسالة ربه
كفاه لا الأخوال والأعمام

وهكذا أهل البيت كجدهم الرسول رفعتهم الأعمال لا الأنساب ، إنهم أشرف من كان ويكون حسباً ونسباً ، ولكنهم أخذوا أنفسهم بالتواضع ، والشدة في جنب الله سبحانه ، وأصدق كلمة قيلت فيهم انه « ما عرض لأحدهم أمران قط هما لله رضى إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه ... يعمل عمل رجل كأن وجهه بين الجنة والنار يرجو ثواب هذه ، ويخاف عقاب هذه » . قيل للامام

زين العابدين (ع) : أتحمل نفسك هذا التعب والجهد من الصيام والقيام، وأنت من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً على هذه المنزلة ! وأين عبادتي من عبادة جدي امير المؤمنين !

ومن هنا فضل الله أهل البيت، ومنحهم الامتياز على غيرهم، خصهم بأشياء، وهم عباد مأمورون ومسئولون، ولكنهم مكرمون، لأنهم لا يسبقونه بالقول، وبأمره يعملون، من تلك الخصائص :

١ ـ الصلاة والتسليم في الصلاة على جدهم الرسول ﷺ . وعليهم قال الفخر الرازي عند تفسير الآية ٥٥ من سورة الاحزاب « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » :

« سئل النبي عليه السلام كيف نصلي عليك يا رسول الله ؟ فقال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

وغريب [1] أن يترك الرازي الصلاة على آل محمد، وهو

(١) واغرب منه قول الزمخشري « القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم . اما الصلاة على احد من أهل بيت النبي منفرداً عنه فكروه ، لأنه يؤدي الى الاتهام بالرفض » .

ينقل هذا الحديث الشريف ، والشيعة يروون الحديث بدون كلمة على بين محمد وآله ' وإبراهيم وآله ، لذا يقولون اللهم صل على محمد وآل محمد ، وتقول السنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .

وقال الشيعة : تجب الصلاة على محمد وآلـــه في التشهد ، وتبطل الصلاة بتركها ، وقال ابو حنيفة ومالك: لا تجب ، ولكنها تستحب ، وقال الشافعي: تجب الصلاة على محمد ، ونقل عن احمد ابن حنبل روايتان أشهرهما ما ذهب اليه مالك [1] .

٢ ــ قال الشيعة الامامية : من سب محمداً او فاطمة الزهراء او احد الأئمة المعصومين او احد الأنبياء جاز لسامعه قتله ، ولم ار فيما لدي من كتب المذاهب الأربعة كتاباً تعرض لهذه المسألة ، ولكن صاحب الجواهر نقل في المجلد السادس ــ باب الحدود ــ أن رجلاً في عهد الامام الصادق شتم النبي ، فجمع والي المدينة فقهاءها ، وكان يومذاك زياد بن عبيد الله الحارثي ، فسألهم وأفتوه ، ولكنه لم يثق بفتواهم ' فطلب الامام الصادق ، ولما حضر قال له الوالي : ما تقول في رجل شتم الرسول ؟ فقال الامام : حتى أنظر ما قال هؤلاء الفقهاء ، قالوا : يؤدب ويضرب ويعزر ويحبس ، فقال لهم : أرأيتم لو ذكر رجلاً من اصحاب النبي ما كان الحكم

---

(١) ميزان الشعراني .

فيه ؟ قالوا : مثل هذا . قال : أليس بين النبي وبين رجل من أصحابه فرق ! . فقال الوالي : دع هؤلاء يا أبا عبد الله، لو أردناهم لم نرسل إليك ، فقال الامام : أخبرني ابي أن رسول الله قال : من سمع احداً يذكرني ، فالواجب أن يقتل من شتمي ، ولا يرفع الى السلطان ، والواجب على السلطان اذا رفع إليه أن يقتل من نال مني ، فقال الوالي : اقتلوا الرجل .

٣ ــ أن لهم سهماً في الغنائم ، كما نصت الآية ٤١ من سورة الأنفال « وأعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » . وبعد أن اتفقت كلمة المذاهب الاسلامية على أن المراد بذي القربى قرابة الرسول ﷺ ، وأن لهم سهماً في الغنيمة أختلفوا في معنى الغنيمة ، وما تشمله من الاموال ، وفي كيفية القسمة ، وفي أقسام المستحقين للغنيمة ، ويتفرع على خلافهم مسائل ،

١ ــ قال السنة : معنى الغنيمة في الشريعة ما يأخذه المسلمون من المشركين بالحرب والقتال .

وقال الشيعة الامامية : الغنيمة تشمل جميع ما يأخذه المسلمون من المشركين بالقتال والحرب ، وبالصلح ، وبالاغارة على بلاد الشرك، وقالوا: يلحق بالغنيمة من حيث وجوب الخمس

المعادن التي يجدها الانسان في أرضـه ، والكنز المدفون الذي لم يعرف صاحبه والغوص ، وهو الجواهر التي تستخرج من البحر ، والمال الحلال المختلط بالحرام مع عدم تمييز الحلال من الحرام، وكل مال يفضل عن مؤنة الانسان ، سواء اكتسبه من الصناعة او التجارة او الزراعة ، كل ذلك يجب فيه الخمس عند الشيعة ، وقد أفردوا في كتب الفقه باباً خاصاً للخمس غير باب الزكاة .

ب ــ قال السنة : ان المراد باليتامى والمساكـين وابن السبيل في الآية يتامى الناس ومساكينهم وأبناء سبيلهم ، سواء أكانوا من بني هاشم او من غيرهم .

وقال الشيعة الامامية : المراد خصوص اليتامى والمساكين وأبناء السبيل ممن انتسب الى هاشم بالأبوة علوياً كان او عقيلياً او عباسياً ، ولا تشمل الآية يتيماً ولا مسكينـاً ولا ابن سبيل من غير الهاشميين .

ج ــ قال الشافعي وابن حنبل : تقسم الغنيمة على خمسة اسهم سهم رسول الله ، ويصرف على مصالح المسلمين ، وسهم يعطى لذوي القربى من غير فرق بين الاغنياء والفقراء ، والباقي للفرق الثلاثة ، وهم اليتامى والمساكين وأبناء السبيل .

وقال أبو حنيفة : إن سهم الرسول سقط بموتـــه ، أما ذوو

القربى فهم كغيرهم من الفقراء ، يعطون لفقرهم لا لقرابتهم من الرسول .

وقال مالك : يرجع أمر الخمس الى الامام يقسمه حسب ما يراه من المصلحة [1] .

وقال الشيعة الامامية : ان الاسهم الثلاثة الاول سهم الله وسهم الرسول وسهم ذوي القربى يفوض أمرها الى الامام أو نائبه يضعها حسب ما يراه من المصلحة ، والاسهم الثلاثةالاخرى تعطى لايتام بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ، ولا يشاركهم فيها غيرهم [2] .

---

(١) تفسير الرازي ، آية الغنيمة ، وميزان الشعراني باب الغنيمة .

(٢) مستمسك العروة الوثقى للسيد محسن الحكيم المجلد السادس باب الخمس ومجمع البيان آية الغنيمة : وسائر كتب الشيعة الامامية .

اخلاق آل البيت



قال الرسول ﷺ : أدبني ربي فأحسن تأديبي . وأدب هوأهل بيته فكانوا كما أراد ، وقد أفاض اصحاب التراجم والسير في بيان أخلاقهم ، ونقف نحن وقفة قصيرة عند اخلاق الامام ، كان علي صلباً في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم ، ولم يكن الحق في مفهومه ما كان امتداداً لذاته وسلطانه ،فقد تساهل في حقوقه الخاصة حتى أستغل اعداؤه هذا التساهل عفى عن مروان بن الحكم بعد ان ظفر به في وقعة الجمل ، وعن عمرو بن العاص حين تمكن منه يوم صفين وسقى اهل الشام من الماء بعد ان منعوه منه وكاديهلك جنده عطشاً ، وانما كان الحق في مفهومه ان لا يستأثر انسان على انسان بشيء كائناً من كان . جاءته امرأتان ذات يوم تشكوان فقرهما ، فأعطاهما ، ولكن أحداهما سألته ان يفضلها على صاحبتها لانها عربية ، وصاحبتها من الموالي ، فأخـــذ قبضة من تراب ،

ونظر فيه ، وقال : لا أعلم ان الله فضل احداً من الناس على احد إلا بالطاعة والتقوى ، وطلب أخوه عقيل ، وهو ابن امه وأبيه شيئاً من بيت المال فمنعه ، وأرادت ابنته أم كلثوم ان تتزين يوم العيد بعقد من بيت المال على ان ترده عارية مضمونة حين كان أبوها خليفة فغضب، وطلب طلحه والزبير الوظيفة على ان يناصراه وإلا عارضا وأثارا عليه حرباً شعواء فأبى ، ولما أشير عليه ان يخادعهما ويخادع معاوية حتي يستقيم له الأمر قال : لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنية في امري . وأبى أن ينزل القصر الابيض بالكوفة ايثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء ، وكان يلبس المرقع حتى استحيى من راقعه ، كما قال : وكان راقعه ولده الحسن، ويأكل الخبز الشعير تطحنه امرأته بيدها مواساة للكادحين والمعوزين . أثنى عليه رجل من أصحابه فأجابه بقوله : ان من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ، ويوضع أمرهم على الكبر ، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم اني أحب الاطراء واستماع الثناء . . . فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة . وكان منكراً لذاته متوجهاً بكل تفكيره الى خير الجماعة ، لا يبالي بغضب الخاصة إذا رضيت العامة ، ويقول : ان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة ، لذا أفتتنت به الجماهير في عصره وبعد

عصره ، وبوأته أعلى مكان ، لانه العنوان الكامل لآمالها وأمانيها ، ومنهم من رفعه الى مكان الآلهة ، كما يأتي الكلام عن الغلاة ، وبحق قال له النبي ﷺ : يا علي ان الله قد زينك بأحب زينة لديه ، وهب لك حب المساكين ، فجعلك ترضى بهم اتباعاً ، ويرضون بك اماماً .

لقد بالغ علي في تمسكه بالحق ، وحاسب عليه نفسه وعماله حتى اغضب الكثير منهم ، وبعضهم تركه وهرب الى عدوه معاوية، وأصبح عوناً له بعد ان كان حرباً عليه . لن يجد طلاب الوظائف والأموال عنده آمالهم وانشودتهم ، وكيف يجمع بين الحق والباطل ! بين حق الشعب وباطل مستغليه فتألبوا عليه بقيادة زعيمهم معاوية وأتاحت لهم الحيل والخدع أن يتمكنوا من علي ، ولكن هل أتيح لهم الفوز والنجاح بعد علي ؟ هل استقام الأمر لمعاوية بالرضى لا بالخوف ؟ تحدثنا كتب التاريخ ان معاوية اول من سن في الاسلام قانون الأخذ بالتهمة والشبهة ، وانه قتل عدداً كبيراً من الصحابة والتابعين الذين يمثلون الرأي العام ، .وأن أهل العراق ثاروا على عامله زياد ، وان أم المؤمنين عائشه همت ان تخرج وتقود الثورة على معاوية ، ولكنها خافت أن يصير الامر الى غير ما تريد ، كما حدث في وقعة الجمل .

قد يظن ان الناس أحبوا علياً ، لأنه ابن عم الرسول ، وأول القوم اسلاماً فحسب ، وانهم كرهوا معاوية ، لأن أباه حارب الرسول . وأسلم كرهاً ، والحقيقة ان الناس أحبوا علياً ، لأنهم عاشوا في ظله احراراً كراماً ، لهم ارادتهم وحريتهم في القول والعمل، ولهم اموالهم يدبرونها على مصالحهم بأرادتهم واختيارهم، لا محاباة فيها ولا امتياز ، وكرهوا معاوية ، لانه أخذ أموالهم وأعطاها للأقوياء والنبلاء ، ليكونوا سلاحاً في يده عليهم ، وعوناً له على استعبادهم والتحكم باموالهم ودمائهم ، ومن الخير أن ننقل هنا وصف ضرار بن ضمرة للأمام ،

قال أحمد الشرواني في كتابه ــ حديقة الأفراح ــ صفحة ٤٣ طبعة ١٢٩٨ هجرية : إن معاوية قال لضرار صاحب أمير المؤمنين صف لي علياً ، فقال اعفني ، قال : بل صفه لي ، فقال :

كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحدته ، وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة ، يقلب كفيه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويبتدئنا إذا أتيناه ، ونحن والله مع تقريبه لنا ، ودنوه

منا لا نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئـــه لعظمته، وإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني الآن أسمعه يقول : يا دنيا إلي تعرضت،ام إلي تشوقت ، هيهات هيهات غري غيري ، لا حان حينك ، فقد طلقتك ثلاثا ، لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصـــير ، وعيشك حقير ، وخطبك كبير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق .

آمن علي (ع) بالله وبالانسان ، وقد ورث عنه الأئمة من ولده هذا الايمان وساروا بسيرته ، وتخلقوا باخلاقـــه ، فكل واحد منهم وافر العلم ، محب للخير والسلم ، عزوف عن الشر والحرب ، صارم في الحق ، وانما ظهر بعض الصفات في شخص احدهم اكثر من الآخرين تبعاً للظروف ومقتضيات الاحوال ، ظهر في الحسن بن علي حبه للسلم وكرهه للحرب لان عصره كان عصر الفتن والقلاقل ، بايعه أهل العراق بعد وفـــاة أبيه بالخلافة ، وكان جيشه يتألف من أربعين ألفاً ، وظهرت صلابة الحسين في الحق ، وضحى بنفسه وأهله وأصحابه ، لان يزيد بن

معاوية لم يترك مجالاً للمهادنة ، فقد أراد الناس على ان يكونوا عبيداً له يحكم في دمائهم وأهلهم وأموالهم كيف شاءت له الاهواء وظهرت آثار علوم الامام محمد الباقر وولده الامام جعفر الصادق لأن العلم في عصرهما كثر طلابه والراغبون فيه ، وقد أفسح لهما المجال للتدريس وبث العلوم .

قوم كأولهم في الفضل آخرهم
والفضل أن يتساوى البدء والعقب

محن اهل البيت

●

تحدث أصحاب التاريخ والسير عن محن آل البيت واطالوا الحديث ، ووضع الشيعة فيها كتباً مستقلة سموا الكثير منهـــا باسماء تدل عليها ، كاسم مثير الاحزان ونفس المهموم ، والدمعة الساكبة ، ولواعج الأشجـان ، ورياض المصائب ، واللهوف ، ومقاتل الطالبيين ، وما الى ذلك ، وتكاد كلمة الباحثين القدامى والمتأخرين تتفق على ان الامويين انما نكلوا بأهل البيت أخذاً بثارات بدر وأحد ، لان علياً (ع) قتل في هاتين الحربين شيوخ الامويين وساداتهم ، ويستشهدون على ذلك بما تمثل به يزيد بن معاوية عندما قتل الحسين ، ووضع رأسه بين يديه .

ليت اشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحـــاً
ثم قالوا يا يزيـد لا تشل

وليس ببعيد ان يتذكر يزيد الحفائظ والحروب القديمة بين محمد جد الحسين وجده أبي سفيان ، وبين علي ابي الحسين وابيه معاوية ، وان ينطق بكلمة التشفي والحقد. ولكن الباعث الاول على الفجيعة هو نظام الجور ، وعهد الأب للابن بالخلافة، وجعلها حقاً موروثاً والبحث في محن آل البيت واسع المجال متشعب الاطراف.

فقد ظهرت آثار هذه المحن في الدين والسياسة والأدب والتقاليد ، وما زالت تفعل فعلها الى اليوم . ولم يتح لمحن أهل البيت ، فيما أعلم ، من درسها درساً موضوعياً ، ولا يمكن شرحها وبيان اسبابها ونتائجها في مقامنا هذا. وعلى اي الاحوال فان محن اهل البيت ومحن الناس جميعاً ابتدأت منذ تغير نظام الحكم عند المسلمين ، كان الحكم في عهد الخلفاء الراشدين يقوم على مبدأ ان كل شيء لله ، فالمال مال الله ، والجند جند الله ، ومعنى هذا ان الناس جميعاً متساوون في الحقوق لان الله للجميع ، وبعد الخلفاء الراشدين تغير هذا النظام ، واصبح كل شيء للحاكم.

فالمال مال الحاكم ، والجند جند الحاكم ، والناس كلهم عبيد الحاكم. قال معاوية بن أبي سفيان (الارض لله ، وانا خليفة الله فما أخذت فلي ، وما تركته للناس فبالفضل مني) ، وعلى

هذا المبدأ وهب مصر لعمرو بن العاص ، مكافأة له على حسن بلائه ضد الامام علي ، وكان جند يزيد في وقعة الحرة يجبرون الناس على أن يبايعوا يزيد ، وينقشون أكف المبايعين علامة الاسترقاق ، ومن أبى عن هذه البيعة ضربت عنقه ، وصعد عبد الملك بن مروان المنبر حين تولى الخلافة ، وقال : (لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه) قال هذا والمسلمون لم ينسوا بعد كلمة أبي بكر عندما تولى الخلافة (إذا أحسنت فأعينوني ، وإذا زغت فقوموني) وكلمة عمر بن الخطاب (اعينوني بالنصيحة فيما ولاني الله من أموركم) وكلمة علي بن أبي طالب (من استثقل الحق أن يقال له او العدل أن يعوض عليه كان العمل بهما أثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل ، فأني لست في نفسي بفوق أن أخطيء) . وقال وقال زياد عامل معاوية على العراق في خطبته البتراء (لآخذن البرىء بالمسيء ، والصحيح بالسقيم ،) وخاطب الحجاج بن يوسف عامل عبد الملك الناس كما يخاطب قطيع غنم له . قال : (وأيم الله ان لي فيكم صرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم ان يكون من صرعاي) وسكر يزيد بن الملك يوماً وعنده جاريته حبابة . فطرب وقال : دعوني أطير ، قالت حبابة على من تدع هذه

الأمة، قال عليك. فالأمة ملك له ان شاء أبقاها لنفسه وولده، وان شاء أوصى بها لبعض جواريه وحجابه، وكان خالد بن عبد الله القسري عامل هشام على العراق يتناول راتباً سنوياً قدره عشرون مليون درهم، ويختلس ما يتجاوز مئة مليون، وما الى ذلك من اعمال الحكام وولاتهم.

من هذا النظام وحده تولدت محن آل البيت وغير آل البيت، وان كان نصيبهم منها أكبر وأفضع، بهذا النظام حدثت مذبحة كربلاء، ووقعة الحرة، وهدمت الكعبة، وانتهكت حرمة مسجد الرسول، وسم الحسن بن علي (ع) وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ودفع عبد الملك الجزية لملك الروم. بهذا النظام قتل معاوية وعبد الملك بن مروان الصالحين من الصحابة وغيرهم، كحجر بن عدي، وعمرو بن الحنمق، وكميل بن زياد وسعيد بن جبير وغيرهم، وبه كان يذبح الحجاج الناس بالألوف في كل يوم حتى قيل انه ذبح في يوم واحد خمساً وسبعين الفاً، وأنا أصدق هذا، واكثر من هذا.

أراد الحاكم ان تكون الناس عبيداً له، وأراد الناس ان يعيشوا كراماً فحصل التنافر الشديد بين الحاكمين والمحكومين، ووقع من المآسي والمجازر ما ينبغي أن يقع، واكثر مما وقع،

قتل جماعة من المسلمين خليفتهم عثمان، وهو صاحب رسول الله وزوج ابنتيه ، قتلوه ، وهو يتلو كتاب الله لما رأوا منه ضعفاً عن صيانة حقوقهم وانحرافاً الى اهله وذويه ، فكيف يرضون ويستسلمون لمن يسوسهم بالاهواء والشهوات وهو مع ذلك سليل من حارب الرسول ، وكاد للاسلام . كان نظام الدولة يخلق لها في كل يوم مشاكل جديدة ، تحلها باعلان الحرب واراقة الدماء ، فالمحن كما تدل على جور الحاكم ونظام الحكم تدل في الوقت نفسه على نقمة الشعب وثورته ضد الفساد . قال معاوية: ندع الناس ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا . اذن، هو لا يدع الناس بحال ، لأنهم مصممون على ان يحتفظوا بحريتهم ؛ ويحصنوها بالدماء والارواح .

ولا بد من التساؤل : لماذا ذعر الناس لمحن آل البيت ، وتحدثوا فيها وأطالوا الحديث اكثر من غيرها ؟ يمكننا ان نلخص الجواب بأن محنهم كانت اقسى المحن جميعاً ، وبأنها في نظر المسلمين هي محن الاسلام نفسه ، فقد اوصى الرسول وبالغ في الوصية بأهل بيته ، وساواهم بكتاب الله وشبههم بسفينة نوح ، واعتبر التعدي عليهم تعدياً عليه بالذات ، وهذا السبب يرجع الى الدين ، ولا شيء يوازي احترام العقيدة الدينية وتقديسها

عند المسلمين ، وبخاصة في ذلك العهد .

وهناك أسباب سياسية لتوالي المحن على أهـــل البيت من الحكام واذاعتها بين الجماهير اكثر من غيرها . لما يئس المسلمون من اصلاح الحاكم تمنوا أن يدبر شؤونهم أمام عادل ناصح لله ولرسوله ، وفي أهل البيت خير من توافرت فيه هذه الصفات ، بل كان من المسلمين حزب قوي منتشر في اقطار الأرض يدين بالتشيع لهم ، ويرى ان الخلافة حق خصه الله بعـــلي وبنيه ، وقد أعلن الشيعة هذا المبدأ في أشعارهم، واتخذوه أساساً لتعاليمهم ، وعملوا على بثه في الجهر والخفاء ، ولم يتركوا فرصة تمر الا عددوا مناقب آل البيت ومثالب من غصبهم هذا الحق ، فرأى الحكام في أهل البيت وشيعتهم خطراً كبيراً على سلامة الدولة وأمنها اكثر من غيرهم ، فخصوهم بالقسط الأوفر من المحن ، ونكلوا بهم بقسوة تفوق كل قسوة ، وقد رأى الناس في هـذه المحن مورداً خصباً للتشهير بالحاكم واثارة الجماهير ، ولا شيء كالخطوب والمآسي تستدعي عطف الناس ، وتثـير اشفاقهم وحميتهم وكلنا يعرف كيف استغل معاوية قميص عثمان لتألب أهل الشام على علي ، فالشيعة اذاعوا تلك المحن ، وبكوا واستبكوا الناس وفاء لأئمتهم ، ولبث الدعوة لهم ونشر مبادئهم ، واذاعها كل نـــاقم ومعارض

للأنظمة السياسية تبريراً لنقمته ومعارضته، ودعماً لأقواله، وحجته، تظلم الشعب لآل البيت ، وفي الوقت نفسه عبر بمحنهم عن ثورته على الفساد، على القصور الشامخة تضم المخنثين والمخنثات، والملايين من الناس مشردون في الفلوات لا يجدون مأوى لهم ولنسائهم وأطفالهم . ان محن أهل البيت هي محن الشعب ، ومحنه محنهم ، وقد أعرب عن آلامه بما ألم بهم ، لاثارة العواطف ، لأن من أساء اليهم فبالاحرى أن يسيء الى غيرهم ، ولأنهم المجموعة الكريمة الطيبة التي يرى فيها الشعب مثاله الأعلى ، ويتمنى أن تقوده هي ، أو من يماثلها في الصفات والمؤهلات ، وإلا فان الثورة على النظام الجائر محتمة لا محالة .

وكل من أحس بالمصيبة ، وملك العاطفة فقد استطاع ان يثور ، وكل من عبر عن عاطفته هذه بنحو من انحاء التعبير ولو بالنوح والبكاء على المظلومين فهو ثائر على الظلم .

ونذكر بايجاز قصتين تمثلان كيف كان الناس يحتجون على الحكام بمحن آل البيت (ع) ، حصلت الاولى في عهد الامويين، وهي كما تمثل هذه الناحية فانها تمثل أفضع صور القسوة والبطش .

عندما انتهت مذبحة كربلاء ، صعد امير الكوفة عبيد بن زياد

المنبر ، وقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته ، فتصدى له رجل أعمى ، وهو عبد الله بن عفيف الازدي ، وقال : يا ابن مرجانة ، الكـــذاب ابن الكذاب انت وابوك ، والذي ولاك وأبوه ، اتقتلون اولاد النبيين ، وتتكلمون بكلام الصديقين ! !

فقال ابن زياد : من المتكلم ؟ قال ابن عفيف انا يا عدو الله، أتقتلون الذرية الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس ، وتزعم انك على دين الاسلام ! واغوثاه ، اين اولاد الانصار والمهاجرين ينتقمون من هذا اللعين ابن اللعين ، فقال ابن زياد للشرطة : علي به ، فقام من حضر من الازد ، وحالوا بـــين الشرطة وبينه ، وأوصلوه الى أهله .

فأرسل ابن زياد جنده ، فاقتحموا عليه الدار ، ولم يكن فيه الا ابن عفيف وبنت صغيرة له ، فلما أحست بهم الطفلة ارتاعت وصاحت : يا أباه أتاك القوم ، قال لها : ناوليني سيفي ، فأخـذ السيف ، ودار به يذب عن نفسه ، ويهوي به بقوة وعزم على صوت الحركة ، وابنته تحوم من حوله تذرف الدموع، وترسل الزفرات، وتصيح والهة : ليتني كنت رجلاً أذب عنك هؤلاء الفجرة قاتلي

العترة البررة ، ولما تكاثروا عليه أخذوه اسيراً الى ابن زياد، فقال له ابن زياد : ما تقول في عثمان؟

فقال : ما أنت وعثمان ! سلني عنك وعن ابيك ، وعن يزيد وأبيـــه .

قال : لتذوقن الموت غصة بعد غصة .

قال : الحمد لله الذي رزقني الشهادة على يدي ألعن خلقـه ، بعدما يئست منها .

تصور لنا هذه الحادثة كيف كان الامويون يدعمون سلطانهم بقوة السيف ، والبطش بالصالحين الاخيار ، الوطنيين الأحرار وكيف تراكم الاستياء في نفوس الناس حتى آثروا الموت والتضحية بالنفس على الحياة في ظل أنظمة الجور والفساد .

« قصة دعبل واللصوص »

والقصة الثانية حصلت في عهد العباسيين، نظم دعبل الخزاعي قصيدته التائية المشهورة يمدح بها اهل البيت يعـــدد مناقبهم ، وينوح على شهدائهم ، ويذكر ألواناً من المآسي التي ألمت بهم ، وقد حفظتها الألسن ، ووعتها القلوب ، وتغنت بها الجماهير، لأنها

تعبر عن حياتهم وبؤسهم ، وعما تكنه نفوسهم من المقت والثورة على الفساد ، منها قوله :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات
رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرة
وردت أجاجاً طعم كل فرات
تراث بلا قربى وملك بلا هدى
وحكم بلا شورى بغير هداة
أرى فيأهم في غيرهم متقسما
وأيديهم من فيئهم صفرات
وآل زياد في القصور مصونة
وآل رسول الله في الفلوات

والقصة ترتبط بهذه القصيدة وصاحبها :

خرج دعبل مع جماعة في سفر ، فلما صار في بعض الطريق إعترضتهم اللصوص ، وأخذوا ما كان معهم حتى الثياب على أبدانهم ، وبعد أن استولى اللصوص على الغنيمة تجمعوا حول رئيسهم ، فشرع هذا ينشد قصيدة دعبل التائية ، فتعجب دعبل ، لص ينشد مديح المظلومين ، قاطع طريق يبكي على المنكوبين ! !

وفي الوقت نفسه اغتبط بشهرته ، وإذاعة شعره ، وتقدم من الرئيس ، وقال له : يا سيدي لمن هذه القصيدة ؟

فقال له : ويلك ، ما أنت وذاك !

قال : لي فيه سبب أخبرك به .

قال : إن صاحبها أشهر من أن يجهل ، هو دعبل الخزاعي شاعر آل محمد جزاه الله خيراً .

قال : أنا دعبل ، وأنشده من شعره ، وشهد أهل القافلة أنه هو ، فصاح الرجل بأصحابه : من أخذ شيئاً فليرده كرامة لشاعر أهل البيت ، فرجع الى الناس جميع ما أخذ منهم .

وإذا كانت هذه القصة تعبر عن منزلة أهل البيت في نفوس المسلمين ، والتظلم لهم فانها في الوقت نفسه تعبر عن ثورةالشعب على الفساد ،

كارثة كربلاء

وأثرها في حيـــاة الشيعة



كانت الأسباب الاولى لمحن أهل البيت سياسية ، وبعـــد حدوثها تركت أثراً بارزاً في حياة طائفة كبيرة من المسلمين كانت ولا تزال تدين بالولاء لأهل البيت ، فكارثة كربلاء ، وهي أفضع ما حل بأهل البيت من كوارث ، قتل فيها الحسين بن علي وسبعة عشر شاباً وطفلاً من أهله ، وأكثر من سبعين رجلاً من أصحابه ، فيهم الصحابى والتابعي، هذه الحادثة جعلت كربلاء مزاراً مقدساً عند الشيعة يفد اليها في كل سنة عشرات الألوف للزيـارة من أنحاء البلاد ، وفي كثير من الأحيان يوصي الشيعي في الهنـــد وايران واطراف العراق أن ينقل رفاته من بلده ليدفن في كربلاء رغبة في ثواب الله وجزائه ، وتحيي الشيعة في كل سنة وفي كـل مدينة وقرية من بلادهم ذكرى مقتل الحسين في الثلث الأول من

شهر المحرم وفي بعض أيام السنة ، يجتمعون للاحتفال بهـــذه الذكرى ، فيروي الخطيب بعض أخبار كربلاء ومأساتها ، ويعدد المناقب والسوابق لشهدائها ، وينوح عليهم شعراً ونثراً ، ويسمون هذه المحافل بمجالس التعزية ، وقد وضعوا لها كتباً خاصة .

قتل الحسين (ع) في أول سنة إحدى وستين هجرية ، وقد مضى على قتله اكثر من ألف وثلاثمئة سنة ، ومن يوم الفاجعة الى يومنا هذا ، والشعراء ينظمون في واقعـة الطف القصائد في اللغتين الفصحى والقومية ، ولو جمعت لبلغت عـدة مجلدات ، وهي تمثل جانباً هاماً من الثقافة العربية ، ولكن لم نر من أولاها عناية الدرس والبحث .

لقد أهتم القدامى والمحدثون منأساتذة الأدب «بالمعلقات» ودرسوها درساً وافياً ، فكان الأولى بهم أن يدرسوا هذه القصائد ويفردوا لها باباً خاصاً في الأدب باسم « الحسينيات » فيبحثوها من جميع جهاتها، ويبينوا ما فيها من الاتجاهات الفنيةوالسياسية والدينية ، ولو فعلوا لأسدوا للأدب خدمة كبرى .

أهمل أساتذة الأدب « الحسينيات إما جهلاً بها ، وإمـــا إستخفافاً بشانها ، ولو أولوها يسيراً من العناية لوجدوا في الشعر العربي شيئاً غير المدحوالهجاء والغزل والرثاء ، لوجدوا ثورةدامية

تتستر باسم النوح والبكاء ، لوجدوا نقمة على الاوضاع والحكم والحكام باسم تعزية الحسين بن علي (ع) ، ولكنها بالحقيقةتعزية للرسول بذهاب الاسلام وجهوده في سبيل الدين ، لأن القوة بعده أصبحت بيد العابثين بتعاليمه وشريعته .

ونقل أبياتاً من الحسينيات للتدليل على أن منها ما يهدف إلى أغراض وراء النوح والبكاء على قتلى كربلاء ، فمن قصيدة للشيخ عبد الحسين الأعم :

يا وقعة الطف كم أوقدت في كبدي
وطيس حزن ليوم الحشر مسجورا
كأن كل مكان كربــــلاء لدى
عيني وكل زمـان يوم عاشورا

ذكر الشاعر كربلاء ، وتفجع وتوجع لما أصاب أبناءالرسول وبناته من القتل والسبي ، ثم ألتفت وأعلن أن الظلم ما زال، وان وقعة الطف تتكرر في كل زمان يتحكم فيه القوي بالضعيف ، وفي كل مكان ترتفع أنات البائسين ، وأصوات المظلومين ، وان النبي كما يتألم ويحزن لقتل ابنائه فانه لا يرضى أن يشقى أحد بفقر ، أو يمنع عن حقه لخمول ، وانه كما يعز علبـه أن تسير بناته مسبيات من بلد الى بلد كذلك يعز عليه أن تسير أم اليتيم

من مدرسة الى مدرسة تخضع وتتضرع للقائمين عليها أن يقبلوا يتيمها فيأبوا إلا بعد دفع القسط وثمن الكتب ، وهي لا تملك لقمة العيش .

ومن قصيدة للحاج هاشم الكعبي :

تالله ما سيف شمر نال منك ولا
يدا سنان وإن جل الذي ارتكبوا
أصابك النفر الماضي بما أبتدعوا
وما المسبب لو لم ينجح السبب

وشمر وسنان هما اللذان ذبحا الحسين (ع) ، يقول الشاعر : إن يزيد وجنوده لم يقتلوا الحسين ، وإنما قتله أبوه معاوية الذي مهد الطريق ليزيد وامثاله ، وجعل الخلافة كسروية قيصرية بعد ان كانت شورى بين المسلمين ، وقد جاءت عاقبة توريث الملك وبالاً على الناس وتعاليم الاسلام الى يوم يبعثون.

ومن قصيدة للسيد جعفر الحلي :

ما خلت أن الدهر من عاداته
تروى الكلاب به ويضمي الضيغم
ويقدم الأموي وهو مؤخر
ويؤخر العلوي وهو مقدم

وليس هذا احتجاجاً على الدهر ، وإنماهو إحتجاج على الذين يؤثرون الفاسق الجاهل على المؤمن الفاضل ، ويقدمون المجرم اللئيم على الطيب الكريم ، وإحتجاج على الذين يتصدون لقيادة الناس ، ولا يثق بهم أحد من الناس .

ومن أبيات للسيد حيدر الحلي :

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم
فلا مشت بي في طرق العلى قدم
لا بد أن أتداوى بالقنا فلقد
صبرت حتى فؤادي كله ألم
عندي من العزم سر لا أبوح به
حتى تبوح به الهندية الخذم
مالي أسالم قوماً عندهم ترثي
لا سالمتني يد الأيام إن سلموا
لا تطهر الأرض من رجس العدى ابدا
ما لم يسل فوقها سيل الدم العرم
قد آن أن يمطر الدنيا وساكنها
دم أغر عليه النقع مرتكم

وما قرأت كهذه الأبيات في استنهاض الهمم للثورة على الظلم ، والاستماتة في سبيل العدل والحرية ، في سبيل حياة كريمة

لا تفوق فيها ولا امتياز إلا للكفاءة العلمية والخلقية.

ومن أبيات للحاج هاشم الكعبي يصف حيرة النساء الفاطميات ولوعتهن حين انتهت المذبحة، وشاهدن مصارع الشهداء، وجسم زعيمهن الحسين وكفيلهن ملقى على الارض مضرجاً بالدماء، ورأسه على الرمح، نذكر الأبيات لأنها تقدم للقارىء صورة للحزن والثكل لا يجدها في أي شعر عربي، حتى في شعر الخنساء:

وثواكل في النوح تسعد مثلها
أرأيت ذا ثكلٍ يكون سعيدا
ناحت فلم تر مثلهن نوائحا
إذ ليس مثل فقيدهن فقيدا
لا العيس تحكيها إذا حنت ولا
الورقاء تحسن عندها الترديدا
إن تنع أعطت كل قلب حسرة
او تدع صدعت الجبال الميدا
عبراتها تحيي الثرى لو لم تكن
زفراتها تدع الرياض همودا
تخفي الشجى جلدا فان غلب الاسى
ضعفت فأبدت شجوها المكمودا

نادت فقطعت القلوب بشجوها

لكنما انتظم البيان فريــــدا

ثاكلة ترنو الى ثاكلة مثلها تنوح على قتلاها ، وتندب أسراها ، باكية شاكية من عدو سد عليها الفضاء ، أمامهـا ووراءها ، تنوح ولكن أين ترديد الورقاء ، وتحن ولكن أين حنين العيس ! لأن قتيلها لا يشبهه قتيل ، ومصابها لا يشبهه مصاب ، وعبراتهـا غيث أحيا الأرض الميتة ، وأنبتها أزهاراً وريـــاحين ، ولكن لوافح الزفرات المحرقة ، ولهيب الحسرات المتأججـة تركتها هشيمـاً تذروه الرياح .

ومن قصيدة لمهدي الجواهري تصور الغاية التي يهدف إليها الشيعة من زيارة كربلاء ، ويوم عاشوراء ، يقول : إنه زار كربلاء، وشم أرضها ايتسرب الى نفسه نسيم الاباء والكرامة ، ويهب على قلبه ريح التضحية ، وعفر خده بتراب قبر الحسين حيث بضع خده ، ولم يخضـع لظالم ، وجالت الخيل على صدره وقلبـه ، ولم يهادن ويماليء من سلب الشعب حريته والأمة حقوقها ، ونثرت السيوف لحمه دون رأيه وضميره ، ورفع رأسه على الرمح دون عقيدته وأيمانه ، وأطعم الموت خـــير البنين والاصحاب دون مبدئه ودعوته :

شممت ثراك فهب النسيم
نسيم الكرامـــة من بلقع
وعفرت خـدي بحيث استرا
ح خـــد تفرى ولم يخضع
ومـاذا أأروع من أن يكون
لحمك وقفـا على المبضع
وأن تتقي دون ما ترتـــأي
ضميرك بالأسل الشرع
وأن تطعم الموت خير البنين
من الأكهلـــين الى الرضع

من هنا نعرف أن الشيعـة انما يقدسون أرض كربلاء ، ويحيون يوم عاشوراء ، لأنهما رمز الجهاد المقدس في سبيـــل الحرية والمساواة ، وعنوان التضحية ضد الظلم والطغيان ، فموقعة كربلاء كانت ثورة على الظلم والفساد فاحياؤهما كذلك ثورة على الظلم والجور .

التقية

•

قال ابن أبي الحديد في اول الجزء الثالث من شرح نهج البلاغة : ما يتلخص بأن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عماله، برئت الذمة ممن يروي شيئاً في فضائل علي وأهل بيته ، وان لا يجيزوا لأحد من الشيعة شهادة ، وأن يمحوا اسم كل شيعي من ديوان العطاء ، وينكلوا به ، ويهدموا داره ، وامتثل العمال أمر سيدهم ، فقتلوا الشيعة تحت كل حجر ومدر ، وطردوهم وشردوهم ، وقطعوا الايدي والارجل ، وسملوا الاعين، وصلبوهم على جذع النخل . وزاد الضغط بعد معاوية أضعافاً ، وبالاخص في ولاية عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ، وولاية الحجاج ، بن يوسف ، حيث قتل الشيعة كل قتلة ، وأخذوا بكل ظنة وتهمة حتى ان الرجل ليقال له زنديق او كافر أحب اليه من أن يقال له شيعي . ومن هذا الضغط التزم الشيعة طريق (التقية) .

ومعناها عندهم الحيطة والحذر من القوي الظالم الذي يأخذالمتهم دون أن يحاكمه ويأذن له بالدفاع عن نفسه . واليوم لا أثر للتقية عند الشيعة حيث لا خوف عليهم ، ولا هم يرهبون .

واستدل الشيعة على جواز التقية بآيتين ، الأولى الآية ١٦٦ من سورة النحل « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » . قال الرازي في تفسيره الكبير :

روي أن اناساً من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه، وكان في من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه، مع أنه كان بقلبه مصراً على الايمان، عمار، وأبواه ياسر، وسمية وصهيب، وبلال، وخباب، وسالم ، فهؤلاء عذبوا بانواع العذاب فأماسمية فقيل: ربطت بين بعيرين ووخزت في قلبها بحربة وقالوا : إنك أسلمت من أجل الرجال، وقتلت، وقتل ياسر، وهما أول قتيلين قتلا في الاسلام، وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً ، فقيل يا رسول الله: إن عمارا كفر ، فقال كلا إن عمارا مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الايمان بلحمه ودمه ، فاتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل الرسول يمسح عينيه ، ويقول مالك إن عادوا لك فعدلهم بما قلت .

الآية الثانية ٢٨ من سورة آل عمران « الا أن تتقوا منهم

تقاة » . قال الرازي في تفسيره :

ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين ، إلا أن مذهب الشافعي إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس ، . وقال مجاهد : هذا الحكم كان ثابتاً في اول الاسلام لأجل ضعف المؤمنين ، فأما بعد قوة دولةالاسلام فلا ، وروى عوف عن الحسن أنه قال : التقية جائزة للدؤمنين الى يومالقيامة . وهذا القولأولى ، لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان .

وهذا هو مذهب الشيعة الامامية في التقية، إذن القول بجوازها لا يختص بهم وحدهم .

علم الامام علي بن أبي طالب

•

كان مظهر الحياة الفكرية عند العرب قبل الاسلام اللغة ، والشعر ، والأمثال ، والقصص ومعرفة الانساب ، وبعد الاسلام اتجهت الى كل ما تعرض له الاسلام ، واصبح مظهر الحياة الفكريه عند المسلمين دينياً . لم يتعرض الاسلام للعقائد والاخلاق والعبادات فحسب ، بل تعرض ايضاً للتشريع والقضاء وتنظيم الدولة ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض .

وكان من نتيجة تعرض الاسلام للحياة الدنيوية ان آمن المسلمون بمبدأ عام ، وهو ان الدين مصدر التشريع ، وحدا بهم هذا الايمان ان اتخذوا من الدين اساساً لحياتهم الفكرية بشتى فروعها وشعبها ، وبحثوا عن ارادة الله وقصد الرسول في كل مسألة تعرض لهم ، سواء أكانت دينية أم دنيوية ، لأن الدين اذا كان مصدر الهداية فيجب ان يكون مصدر المعرفة ايضاً ، وقد

رافقتهم هذه الظاهرة في جميع أدوارهم ، ولن ينسوها بعد ان اتصلوا بالفلسفة اليونانيـــه والامم المتحضرة . لم تكن الفلسفة معروفة في صدر الاسلام ، ولما عرفها المسلمون فيما بعد انحرفوا بها الى الدين ، وأوضح مثال على ذلك علم الكلام والتوحيد فانه فلسفي في صورته ديني في مادته .

وليس من غرضنا الان ان نترجم لكل امام من أئمة اهل البيت ونبين منزلته من العلوم ، وانما غرضنا الاول ان نقـــدم صورة لعلومهم على وجه العموم ، وخير مثال لذلك علم الامـام علي وحفيده جعفر الصادق . فقد ذاع علمهما وانتشر وظهر أثره في المؤلفات والمدارس الاسلامية اكثر من علم غيرهما من الأئمة ، على انـه اذا استطعنا ان نصور علم هذين العظيمين امكننا ان ندرك من خلاله مدى علوم سائر الائمة لان كل امام كان يأخذ العلم عن أبيه الى أن تنتهي السلسلة الى الرسول ﷺ .

كان الامام علي بن أبي طالب عالماً بامور الدين والدنيا التي تعرض لها القرآن والسنة ولم يخف عليه شيء يمت الى الاسلام بسبب قريب أو بعيد ، بل روي عنه أنه قال : لو ثنيت لي الوسادة لافتيت اهل التوراة بتوراتهم ، واهل الانجيل بانجيلهم ، واهل القرآن بقرآنهم ، وعلمه هذا نتيجة لطول صحبته مع الرسول ،

فقد ضمه اليه وهو طفل ، وبقي في كنفه بعد النبوة الى ان لحق النبي بالرفيق الاعلى ، وأسلم حيث لا يوجد على وجه الارض الا محمد وزوجته خديجة، واهتم النبي بتنشئته وتربيته ، واتخذه أميناً لسره، واصطفاه لعلمه، وكان كاتبه وشريكه في نسبه وهو زوج ابنته وأبو ريحانتيه الحسن والحسين، وآخاه حين آخى بين المسلمين، وهو بديله على فراشه حين همّ المشركون بقتل من يبيت في الفراش، واستخلفه على ما كان عنده من ودائع لما هاجر من مكة الى المدينة ، كما استخلفه على المدينة يوم سار الى غزو تبوك ، وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، وولاه القضاء في اليمن ، وبلّغ عنه سورة براءة ، وشهد مع النبي مشاهده كلها ، بل كان علي نفس النبي كما نطقت بذلك الآية ٦١ من سورة آل عمران : « فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم، وانفسنا وانفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » فقد اجتمع المفسرون على ان المراد بابنائنا الحسن والحسين ، وبنسبائنا فاطمة وبأنفسنا النبي وعلي ، وقال النبي : علي مني وأنا من علي ... علي مع الحق والحق مع علي ... علي رباني هذه الأمة ... من كنت مولاه فعلي مولاه ، الى غير ذلك من الفضائل التى قال عنها طه حسين في كتابه علي وبنوه « ان علياً كان اهلاً لها ولاكثر منها ، ويعرفها له

خيار المسلمين، ويؤمن بها أهل السنة كما يؤمن بها شيعته».

هذا، الى عقل يتسع لكل شيء وفراسة لا يكاد يخفى عليها شيء، وحكمة هي الحقيقة والواقع الملموس، وبلاغة ليس فوقها إلا بلاغة القرآن. ان هذا العلم والعقل وهذه الحكمة والبلاغة قد جعلت من الامام مصدراً للتشريع ومرجعاً في جميع العلوم الاسلامية، وقدوة لكل مذهب من مذاهب المسلمين. لم يكن للمسلمين علوم مدونة في عهد الامام، ولما صارت لهم علوم منظمة، لها ابواب وفصول، ووضعوا الكتب في الفقه والاصول والتفسير والحديث، وعلم الكلام والتوحيد، والأدب وتاريخه، والبلاغة وأسلوبها، وفي المذاهب والفرق، وما الى ذلك استعان بنور علمه وحكمته كل عالم ومؤلف، واحتج بقوله وبلاغته كل أديب وكاتب.

كان علي عالماً بالاصول والانظمة التي قررها القرآن والرسول والتي تحقق للناس الرخاء والامانة، فحرص عليها، وأمر عماله باتباعها والعمل بها، من تلك الاصول:

«احترام الجماهير». قال في عهده لمالك الاشتر النخعي لما ولاه على مصر: «ان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة... فليكن صفوك لهم، وميلك معهم». وكتب الى عماله على

الخراج « لا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يعملون عليها ولا عبداً، ولا تضربن احداً سوطاً لمكان درهم»،

« رعاية الموظفين » . وقد أوصى الاشتر ان يختار الموظفين الاكفاء وان« يسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم . وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم ، وحجة عليهم ان خالفوا » .

« زيادة الانتاج » . وقال للاشتر وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج . الى ان قال : وانما يؤتى خراب الارض من اعواز أهلها ، وانما يعوز أهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء » .

« كراهية الحرب » . قال له أهل العراق عندما استبطأوه عن حرب أهل الشام باديء الأمر : ان الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية الموت ، فقال : « والله لا أبالي أدخلت الى الموت أو خرج الموت إلي ... فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وانا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي وتعشو إلى ضوئي ، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وان كانت تبوء بآثامها » . وقال لأصحابه بعد ان أثخنوا في اعدائه يوم صفين : لا تتبعوا مولياً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تنهبوا مالاً . فجعلوا يمرون بالذهب

والفضة في معسكرهم فلا يعرض له أحد . وبلغه ان حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يشتمان معاوية وأهل الشام ، فارسل اليهما ان كفا عما بلغني عنكما . فقالا : ياأمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل قال كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعّانين ، ولكن قولوا : اللهم إحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم.

« المساكين » . قال للاشتر « الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين المحتاجين واهل البؤس والزمنى ... وأحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم ، وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم » .

« الرفق بالحيوان » . في الجزء الثاني من نهج البلاغة كلام للامام بعنوان « ومن وصية له كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات » . جاء في هذه الوصية :

فاذا أخذها [1] أمينك فأوعز اليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها [2] ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها، ولا يجهدنها ركوباً ، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها ، وليرفه على اللاغب [3]

---

(١) الضمير الأبل .

(٢) فصيل الناقة ولدها ، ولا يمصرها ، اي لا يبالغ في حلبها خوفاً ان يضر ذلك بولدها .

(٣) اللاغب ما أعياه التعب ، وليستأن من الاناة بمعنى الرفق .

وليستأن بالنقب والظالع ، وليوردها ما تمر به من الغـدُر [1] ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطريق [2] ، وليروحها في الساعات .

وبالتالي فان الأمام عنده علم الكتاب ، وعام الحديث ، وعلم الفقه ، وعلم الكلام ، وعلم النحو ، أما علمه بالقرآن فقد ثبت عنه أنه قال : لو سألتمونى عن آية آية في ليل نزلت او في نهـار ، في سفر أو حضر ، مدنيها ومكيها ، ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم ، وأما علمه بالحديث فقد قيل له : ما بالك أكثر الأصحاب حديثاً فقال إذا سألته أنبأني ، وإذا سكت عنه ابتدأني، وأما علمه في الفقه فجميع الفقهاء يرجعون اليه ، ومن بحره يغترفون ، صنف الشافعي كتاباً في الدلالة على اتباع أهل المدينة لعلي وعبد الله : وقال محمد بن الحسن : لولا علي ما علمنا حكم أهل البغي ، وقال الشعبي : ما رأيت أعلم من علي بالفرائض والحساب ، أما علم الكلام فان ما قاله المتكلمون في التوحيد ، وصفات الله ، والامامة ، والمعاد هو شرح لكلامـه ،

---

(١) الغدر جمع غدير .

(٢) أي إذا كان طريقان أحدهما سهل ، ولكن لا نبات فيه ، وآخر شاق ، ولكن فيه نبات فعليه أن يختار الثاني ، كي ترعى الابل .

أما علم النحو فهو الذي وضع أصوله وعلمها لأبي الاسود الدؤلي، وقال الشيخ الرئيس ابن سينا لا نعرف شجاعاً وفيلسوفا إلا علي بن طالب (ع)، وكل ما قيل او يقال عن علم الامام فانما هو شرح للحديث الشريف «أنا مدينة العلم، وعلي بابها».

قضاء الامام



اشتهر عن الامام أنــــه كان أقضى أهل زمانه، والقضاء هو المحك للمواهب والرأي الصائب، ولمن حفظ العلم حفظ دراية أو رواية قال أحمد امين في المجلد الأول فجر الاسلام «كان علي ذا عقل قضائي، فقد ولاه رسول الله ﷺ قضاء اليمن، وله آراء ثبتت صحتها في مشاكل قضائية عديدة، حتى قيل عنه : قضية ولا أبا حسن لها» وهـذا القول مشهور عن عمر بن الخطاب. وقد عني جماعة من فقهاء السنة والشيعة بجمع قضاياه في كتاب مستقل، منهم الترمذي صاحب احد الصحاح الستة، والمعاني بن محمد البصري، ومحمد بن قيس البجلي، وعلي بن إبراهيم القمي، وجمع السيد محسن الامين عدة قضايا أضافها الى كتاب علي بن ابراهيم، وطبعها في كتاب اسمه عجائب احكام امير المؤمنين :

منهـا : أن أربعة رجال شربوا الخمر ، وكان مع كل واحد منهم سكين ، فلما بلغ بهم السكر تباعجوا بالسكاكين ، فمات اثنان وبقي اثنان فجاء اهل القتيلين للأمام وقالوا : ان هذين قتلا صاحبينا فأقدنا منهما ، قال لهم: وما علمكم بذلك،لعل كلاً منهما قتل صاحبه ، ولكن الدية توزع على الاربعـــة ، فيصيب كل واحد من الاثنين الباقيين ربع كل واحد من القتيلين .

ومبنى هذا الحكم ان الاجتماع على السكر وحمل السكاكين مخالفة صريحة للشرع والقانون ، وقد نجمت جناية القتل عن هذه المخالفة التي اشترك فيها الاربعة فتكون جناية القتل مشتركة بين الاربعة ايضاً .

ومنها ان ستة غلمان تعاطوا لعباً في الفرات ، فغرق غلام منهم فشهد ثلاثة على الاثنين انهما اغرقـاه ، وشهد اثنـان على الثلاثة انهم أغرقوه ، فقضى بالدية اخماساً منها ثلاثة أخماس على الاثنين ، ومنها خمسان على الثلاثة .

استند هذا الحكم الى عدد الشهود ، شهد ثلاثة على الاثنين فأصابهما ثلاثة اخماس على كل واحد خمس ونصف ، وشهد اثنان على ثلاثـة فأصابهم اثنان من خمسة ، على كل واحد أقل من خمس .

ومنها ان رجلين وضعا عند امرأة مالاً وأوصياها ان لاتعطي المال الا لهما معاً ، وبعد أمد جاء احدهما وطلب المال مدعياً ان صاحبه قد توفي ، فاعطته المال ، وبعد قليل جاء الثاني يطلب المال ، قالت : دفعته الى صاحبك ، فدعاها الى عمر بن الخطاب وكان علي يشهد الدعوى ، وقد فهم من سير الخصومة ان الرجلين يمكران بالمرأة ، فقال للرجل : عندنا ما طلبت ، ولكن أئت بصاحبك على مقتضى الشرط ، فذهب ولم يعد .

ومنها قضاؤه في ثلاثة ، احدهم أمسك رجلاً ، والثاني قتله ، والثالث نظر الى القاتل ولم يمنعه ، قضى ان يقتل القاتل ، وتفقأ عين الناظر ، ويخلد الذي أمسكه في السجن حتى يموت .

وسئل عن رجل قال : إن تزوجت فلانة فهي طالق ، وان اشتريت فلانا فهو حر ، وان اشتريت هذا الثوب فهو للمساكين فأجاب بأنه لا طلاق ، إلا في ملك ، ولا تصدق الا في ملك . وقال : لا يمين في قطيعة رحم ولا ظلم ولا جور ولا اكراه .

ومن تتبع احكامه في هذا الباب يجد العظمة في معرفته لطرق الاثبات ، أي لوسائل الكشف عن الواقع ، فان كثيراً من الأحكام يعرفها الصحابة كما يعرفها الامام . ولكنهم يعجزون عن ايصال الحق الى أهله، لعجزهم عن معرفة الوسيلة التي تكشف

عن الواقع ، وتميز المحق من المبطل ، واليك المثال :

رجل ضرب آخر على رأسه ، وكان المضروب قوي البصر ، فادعى أن بصره ضعف بسبب الضربة ، والكل يعلمون أن الضارب يغرم اذا ثبت قول المضروب ، ولكن ما هي الوسيلة الى الاثبات ، ولا شيء ظاهر ، ولا أطباء في ذلك العهد ، ولا آلة تكشف الواقع ، أما الامام فقد عرف الواقع بدون الرجوع الى الاطباء والخبراء . أقعد المضروب ، ثم عرض عليه بيضة ، وقال له أتبصرها قال نعم ، فلم يزل ينحيها عنه حتى قال لا أبصرها ، فوضع علامة حيث انتهى بصره ، ثم حول المضروب الى جهة أخرى ، وعرض عليه البيضة حتى قال لا ابصرها ، فعلّم على الموضع ، وما زال ينتقل به حتى علّم على اربعة مواضع ، ثم قاس الجوانب الاربعة التي انتهى اليها بصره فاستوت لم تزد ولم تنقص ، فأثبت دعوى المضروب ، وغرم الضارب .

ومن هنا كان الامام (ع) أقضى الاصحاب وغيرهم .

الامام جعفر الصادق



عاش الامام جعفر الصادق في اواخر زمن الأمويين، وأوائل العصر العباسي حين اقبلت الدنيا على العرب بسبب الفتوح، واتصلوا بالامم المتحضرة كالفرس، وعندهم الطب والهندسة والجغرافية والحساب والتنجيم والأدب والتاريخ، والمصريين، عندهم مدرسة الاسكندرية، والسوريين الذين تأثروا بالعقلية الرومانية، وفي هذا العهد شرع بنقل هذه العلوم الى اللغة العربية فخالد بن يزيد استقدم الى الشام جماعة من فلاسفة اليونان الذين كانوا في مدرسة الاسكندرية، وقد عرفوا اللغة العربية، ونقلوا كتباً في الكيمياء من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي، وكان الديوان — حسابات الدولة — باللغة الفارسية في العراق فنقل في عهد الحجاج بن يوسف الى العربية، وكان في دمشق بالرومية فنقل الي العربية في عهد عبد الملك بن مروان، وقيل في عهد ابنه هشام،

ونقل ابن المقفع الذي يمثل ثقافة الفرس كتباً عدة من الفارسية الى العربية .

أقبل المسلمون على هذه العلوم الجديدة يدرسونها الى جانب الفقه والتفسير والحديث والنحو وما إليه ، ويعقدون لها الحلقات العلمية في مساجد الشام والعراق والحجاز . وفي هذا العهد وفي هذه الحلقات كانت تقوم مناقشات دينية عنيفة قسمت المسلمين الى فرق ومذاهب ، ما ان يزال أثرها قائماً الى اليوم ، كانت هذه المناقشات تدور حول مسألة الخلافة ، ومسألة استقلال الانسان بافعاله ، ومسألة من ارتكب كبيرة ولم يتب ، ومسألة امكان رؤية الله ، ومسألة ان صفاته هي عـــين ذاته او غيرها ، ومسألة خلق القرآن ، ولم يكن الخلاف في هذه المسألة قد بلغ الى ما انتهى إليه في عصر المأمون . وقد كان لهذه الخلافات أثر كبير في العلم والأدب والسياسة. اما اثرها في العلم فان النظر في الخلافة يستتبع النظر في معنى الرئاسة ومهمتها ومصدرها وشروطها ، والنظر في الارادة والاختيار يستتبع النظر في عدل الله وحكم العقـــل واستحقاق الانسان للثواب والعقاب، والنظر في مرتكب الكبيرة يستتبع النظر في حقيقة الايمان والكفر وعلاقة الناس بعضهم ببعض ، والنظر في امكان رؤية الله يستتبع النظر في سر الوجود

وصفات الموجد والقدم والحدوث .

ان النظر في هذه المسائل وما إليها ينتهي حتماً الى النظر في الكائنات واسبابها . أما اثرها في الأدب فقد وقف الشعراء ينصر بعضهم هذا المبدأ ويدعو إليه ، وبعضهم يحاربه ويدعو الى غيره .

وكان أثرها في السياسة أظهر وأبلغ ، لأنها تتعلق بالحاكمين وشرعية حكمهم وعلاقة المحكومين بهم ، ولذا رأينا رجال الدولة ينكلون بكل عالم لا تتفق سياستهم مع اقواله وآرائه ، ويقربون اليهم كل من وجدوا في قوله مبرراً لظلمهم واستبدادهم ، ومن هنا قال بعض الباحثين : ان هذه الخلافات كانت في بدء أمرها سياسة ، ثم تغلب الجانب الديني على الجانب السياسي .

وحيث إن مسألة الخلافة، ومسألة اختيار الانسان . ومسألة مرتكب الكبيرة تتصل بالسياسة اتصالاً وثيقاً فانّا نشير الى كل واحدة منها بايجاز :

« الخلافة » : تجمع الرياسة الدينية والزمنية لرجل يتولاها خلافة عن النبي ﷺ ، فالسلطات بكاملها تنحصر بالامـــام ، وهو وحده يعين القضاة والولاة وقادة الجيش وأئمة الصلاة، وجباة الاموال ، وسائر الموظفين يعينهم بمرسوم خـاص او

بقانون عـام ، او بواسطة نائب عنـه يخول له ذلك .

اختلف المسلمون في وجوب نصب الامام بعد النبي وعدم وجوبه ، وافترقوا في ذلك الى فرق . قال الشيعة : يجب على الله ان ينصب اماماً للناس . وقـال السنة : لا يجب ذلك عـلى الله ، وإنما يجب على الناس . وقال الخوارج : لا يجب نصب الامام مطلقاً ، لا على الله ولا على الناس .

قال القوشجي[1] ـ من علماء السنة في كتاب شرح التجريد:

استدل أهل السنة على قولهم باجماع الصحابة ، وهو العمدة، حتى جعلوا ذلك أهم الواجبات، واشتغلوا به عن دفن الرسول ﷺ ، وكذا عقيب موت كل امام ، روي انه لما توفي النبي خطب ابو بكر ، فقال : يـا أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قـد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت ، لا بد لهذا الأمر من يقوم به ، فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم الله . فبادروا من كل جانب ، وقالوا : صدقت ، لكننا ننظر في هذا الأمر ، ولم يقل احد إنه لا حاجة الى امام .

واستدل الخوارج على عدم وجوب نصب الامام بأن نصبه

---

(١) هو علاء الدين علي بن محمد ، وله عدة كتب ، وهو الذي اكمل رصد سمرقند المشهور بالزيج الجديد ، توفي في قسطنطينية ٨٧٩ هـ .

يستدعي إثارة الفتن والحروب ، لأن كل حزب يؤيد واحداً منه ، واتفاق جميع الاحزاب على رجل معين بعيد جداً ، فالأولى سد الباب ، على أنه لو أمكن اتفاق الكلمة على تعيين من يستجمع الشروط بكاملها جاز أن ينصبوه اماماً لهم .

واستدل الشيعة الامامية على أن الاختيار في تنصيب الامام لله وحده بوجوه ، الأول: بأن تنصيبه لطف من الله في حق عباده ، لأن الامام يقربهم من الطاعة بارشادهم إليها وحثهم عليها ، ويبعدهم عن المعصية بنهيهم عنها وتخويفهم من عواقبها ، واللطف منه واجب ، فيكون تعيين الامام وتنصيبه واجباً عليه ،

وقال المحقق الأردبيلي [1] : لطف الامامة يتم بامور ، منها: ما يجب على الله تعالى ، وهو خلق الأمام وتمكينه بالقدرة والعلم ، والنص عليه باسمه ونسبه ، وهذا قد فعله الله ، ومنها ما يجب على الامام ، وهو تحمله الامامة وقبوله لها ، وهذا قد فعله الامام ، ومنها ما يجب على الرعية وهو مساعدته وقبول اوامره وامتثال قوله ، وهذا ما لم تفعله الرعية ، فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله ولا من الامام .

---

(١) هو احمد بن محمد الاردبيلي من اعظم علماء الامامية ومراجعهم الدينية ، ولأقواله وكتبه عندهم شأن كبير توفي سنة ٩٩٣ هـ .

الثاني : ان الله ورسوله قد بيّنا جميع الاحكام ، حقيرها وخطيرها ، ولم يهملا شيئاً من اقوال العباد وافعالهم الا بينا حكمه بلفظ خاص او عام ، فكيف يترك بيان هذا المنصب الهام الذي تتعلق به جميع الشؤون الدنيوية والاخروية .

الثالث : ان اختيار النبي بيد الله ، لأن النبوة سر لا يطلع عليه سواه ، فهو وحده يعلم حيث يجعل رسالته . كذلك اختيار الامام يرجع الى الله ، لان الامامة سر ايضاً لا يطلع عليه إلا هو ، بالنظر لخطرها ونيابتها عن النبوة .

« استقلال الانسان بافعاله » : قال القدرية ، وعلى رأسهم معبد الجهُني وغيلان الدمشقي : ان الانسان مخيرٌ يوجد أفعاله بارادته واختياره ، فهو مسؤول عما كسبت يداه ، وقد نكل الحكام بمن ذهب هذا المذهب ، لانه يحملهم تبعة ما سفكوا من دماء ، وما حل بالناس من البؤس والشقاء ، فالحجاج بن يوسف قتل معبد الجهُني صبراً ، وهشام بن عبد الله قتل غيلان الدمشقي وصلبه بعد ان قطع يديه ورجليه ، والشيعة والمعتزلة من انصار هذا القول . وقال الجبرية ، وعلى رأسهم صفوان بن الجهم : لا إرادة للانسان فيما يصدر عنه من أفعال ، فهو كريشة في مهب الرياح ، ونتيجة هذا القول أن الحاكم مهما فعل يجب على

المحكومين أن يستسلموا له وينقادوا ، لأنه لا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون ، وأهل السنة على مذهب الجبرية .

« مرتكب الكبيرة » : قال الخوارج: من ارتكب ذنباً كبيراً، ولم يتب فهو كافر ، لا يزوج بمؤمنة ، ولا يورث من مؤمن . وقال المعتزلة: هو في منزلة بين الكفر والايمان ، فحكمه حكم المسلم يزوج ويورث ، ولكنه فاسق مخلد في النار ، وقال الشيعة والمرجئة وأهل السنة : هو مؤمن ما دام معترفـــاً بالله ورسوله ، والنتيجة الطبيعية لقول الخوارج أن بني أمية خارجون عن الاسلام .

وإذا لاحظنا أن النهضة العلمية عند المسلمين، والانقسامات المذهبية ، والخلافات السياسيةيبـدأ تاريخها بعهـد الامام الصادق، ولاحظنا مع هذا ما اتفقت عليه اهـل السير والتراجم من ان الامام الصادق ابتعد عن السياسة كل البعد ، وانصرف انصرافاً تاماً للعلم ـ إذا لاحظنا ذلك كلـه فلا ندهش لمـا قرأناه من ان اصحاب الحديث جمعوا اسماء الرواة الثقاة فكانوا اربعة آلاف رجل ، ولا لما سطره ابن حجر في صواعقه : ان الناس نقلوا عن الصادق من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان ، ولالما قال فريد وجدي في دائرة المعارف: ألف جابر بن حيان في الكيمياء كتاباً يشتمل على الف ورقة ، يتضمن رسائل

جعفر الصادق، وهي خمس مئة رسالة ، ولا لما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل : كان الصادق ذا علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة ، وزهد في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، أقام مدة بالمدينة يفيد الشيعة، ويفيض على الموالين له اسرار العلوم، ثم دخل العراق واقام بهامدة ، ولا ندهش أيضاً لما جاء في كتاب عقيدة الشيعة للمستشرق دوايت : وقد ساهم عدد من تلامذة الصادق مساهمة عظمى في تقدم علمي الفقه والكلام ، وصار اثنان منهم ، وهما ابو حنيفة ومالك بن انس فيما بعد من اصحاب المذاهب الفقهية ، وكان واصل بن عطاء رئيس المعتزلة ، وجابر بن حيان الكيماوي الشهير من تلامذته ، الى غير ذلك مما ذكره الباحثون من غربيين وشرقيين ، وبكلمة :اذا ذكر الامام الصادق (ع) فقد ذكرت العلوم الاسلامية بشتى اقسامها وفروعها .

الطابع الخاص لمدرسة الامام

جعفر الصادق وتعاليمه



نوجز الكلام عن تعاليم الامام (ع) وطابعها الخاص في ضوء آثاره التي حفظها التراث الاسلامي ، ويستطيع الوصول إليها من أراد ذلك ، وقد حفظ له هذا اصولاً في الكيمياء ، وعلم الكلام والتوحيد ، وفي الاخلاق ، والعلوم الشرعية بشتى فروعها .

في (الكيمياء): للصادق رسائل في الكيمياء درجها تلميذه جابر بن حيان في مؤلفاته العديدة ، وقد نشر بعضها والبعض الآخر لم ينشر بعد ، وهو موجود في القاهرة ، ومما طبع : كتاب الرحمة ، وكتاب الميزان ، وكتاب الملك ، وكتاب مختار رسائل جابر بن حيان ، ونترك الكلام عن طابعها وفوائدها الى ذوي الاختصاص.

«علم الكلام والتوحيد» : له كتاب توحيد المفضل ، درجه المجلسي في كتاب البحار بكامله ، وطبع مستقلاً بمصر ، وله

احتجاجات وتعاليم في الآلهيات يجدها المتتبع في كتاب اصول الكافي للكليني ، وكتاب الشافي للسيد المرتضى ، وفي غيرهما من كتب الحديث والعقائد لعلماء الشيعة الامامية .

وطريقته لمعرفة ما وراء الطبيعة ترتكز على مبدأ الاعتماد على العقل والثقة بما يستنتجه ويستنبطه ، فكل فرض يصح إذا كان نتيجة منطقية لقضية بدهية . ويسمى هذا الاسلوب بالاسلوب الفلسفي الرياضي وبه يستدل الامام (ع) على حدوث العالم ، وبحدوثه على وجود الخالق . وكان يوجه اهتماماً بالغاً الى إزاحة كل شبهة تحوم حول وحدانية الله وعدله وقدرته وسموه ، وحول بعث الانبياء وتنزيههم ، فالله واحد وعالم وقادر ، وصفاته عين ذاته، ليس كمثله شيء، وكلامه مخلوق وليس بقديم، والبعث والحساب لا بد منهما ، والانبياء معصومون قبل النبوة وبعدها ، والخلافة تكون بنص الرسول لا بالانتخاب ، والانسان مخيرٌ غير مسيرٌ ، وخلاصه بافعاله لا بيد احد من الناس .

(الاخلاق) : له مواعظ وحكم ، ووصايا اوصى بها اهل بيته واصحابه نجدها متفرقة في كتاب حلية الأولياء لابي نعيم الاصفهاني ، وكتاب تحف العقول للحسين الحراني ، وكتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحة الشافعي ، وغير ذلك من كتب

الاخلاق والحديث ، ولو جمعت لجاءت في كتاب ضخم ، وهي تضع قواعد لحسن السلوك وتقرره على مبدأ المساواة بين الناس جميعاً ، ومبدأ ان الانسان خيرٌ بطبعه طيب بذاته ، وانما تفسده التربية والمحيط والاوضاع. فمن اقواله (أصل الانسان عقـــله ، وحسبه دينه ، وكرمه تقواه ، والناس في آدم مستوون . انالنفس لتلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه ، فاذا هي احرزت معيشتها اطمأنت . بني الانسان على خصال ، فمهما بني عليه فانه لا يبنى على الخيانة والكذب) . وإذا كان من طبع الانسان الصدق والامانة فالكاذب الخائن إذن من اخرج الانسان عن طبعه ووضعه ، وعمل على هدم بنائـه وكيانه .

(التفسير): للشيعة كتب عديدة في تفسير القرآن،منها كتاب مجمع البيان للطبرسي ، وكتاب التبيان للشيخ الطوسي ، وكتاب كنز العرفان للمقداد ، وقدرووا في هذه الكتب وغيرها من كتب التفسير والحديث عن الامام الصادق تفاسير لكثير من آيات الكتـاب ، وخاصة ما يتعلق بالاحكام. والشيعة لا يفسرون آية من القرآن إلا بعد مقابلتها مع سائر الآيات ، وبعد البحث عما صح عن النبي ﷺ وأهل بيته من التفسير ، لأن في القرآن آيات ينسخ او يخصص بعضها بعضاً . وفي السنة أحاديث تفسر كثيراً من

الآيات . وكلام الله والرسول لا يتناقضان ، لأنهما بمنزلة الشيء الواحد ، فان لم يجدوا في الكتاب ناسخاً ولا مخصصاً ، ولم يجدوا في السنةمفسراً، فسروا الآية بما يقتضيه ظاهر لفظها، ما لم يتناف الظاهر مع العقل ، وإلا أوجبوا التأويل بما يتحمله اللفظ ، ويقبله العقل . وقد أخذوا هذه الطريقة في التفسير عن أئمة أهل البيت (ع) .

« الفقه » : تعرض الفقه الاسلامي لأحوال الانسان الخاصة والعامة ، لواجبه مع الله ، ومع نفسه وأسرته ، ولعلاقته مع الدولة والمجتمع ، ولشؤونه الزراعية والتجارية ، لما ينتج ، وينفق، ولهذا كان الفقه الاسلامي أوسع من سائر العلوم الاسلامية ، وكانت آثار الصادق فيه أكثر منها في غيره ، فظهرت في كتب الصحاح للسنة ، وفي كل كتاب من كتب الحديث والفقه للشيعة وفي كل باب من أبوابها ، وهذا هو السر في تسمية الشيعةالامامية أحياناً بالجعفريين، ونسبتهم الى الامام جعفر دون غيره من أئمتهم الاثني عشر . وقد تصدى جماعة ، منهم الحافظ بن عقدة الزيدي والشيخ ابو جعفر الطوسي ، لاحصاء عدد الرواة الذين رووا عن جعفر بن محمد ، ودونت اسماؤهم ورواياتهم في الكتب الموجودة بين أيدي الناس فبلغوا أربعة آلاف رجل من أهل العراق

والحجاز والشام وخراسان ، وفي كتاب المعتبر للمحقق الشيخ علي بن عبد العال : « كتب من أجوبة مسائل جعفر بن محمد اربعمئة مصنف لاربعمئة مصنف سموها أصولاً . » وبهذه الاصول أصبح الصادق مصدراً للفقه والتشريع عند الشيعة الامامية. وبعد عصر الأئمة جمعت هذه الاصول الاربعمئة في أربعة كتب: في كتاب «الكافي» لمحمد يعقوب الكليني، وكتاب «من لا يحضره الفقيه» لمحمد بن بابويه القمي المعروف بالصدوق، وكتاب «الاستبصار» ، وكتاب «التهذيب» لمحمد بن الحسين الطوسي .

« طريقة التشريع » : نهى الصادق عن العمل بالقياس، وكان يقول : ان المقاييس لا تزيد اصحابها إلا بعداً عن الحق ، ونهى عن اتباع كل ظن لا يستند الى مصدر . ومعنى القياس إلحاق أمر بآخر في الحكم الشرعي لاتحادهما في العلة، وهو من الاصول الشرعية عند الاحناف .

ومن تتبع أقواله وأحكامه يجد له شخصية علمية مستقلة بذاتها ، فلم يسند حديثه الى الرواة، ولا الى قول مشهور او مأثور إلا نادراً ، وتقول الشيعة : ان الامام إذا حدّث ، ولم يسند، فسنده ابوه عن جده عن الرسول ، ومهما يكن فان ما روي عنه في التشريع يرتكز على مبادىء عامة ، منها :

« الحرية » : لكل انسان، من ذكر وأنثى، حريـة التصرف بنفسه ، وبما يختص به من شؤون ، ولا سلطان عليـه لأحد الا اذا كان صغيراً أو مجنوناً أو سفيهاً ، فيولى عليه حينئذ قوي أمين ، على أن لا تتعدى تصرفات الولي مصلحة المولى عليه .

ومنها « المساواة » : ان جميع الناس سواء امـام القانون ، فكل جان يعاقب ، وكل غاصب يغرم ، ولا حصانة لحاكم ، ولا لذي منصب كائناً من كان ، وكل قانون يقسم الناس الى طبقات، ويميز فرداً على فرد فهو جائر .

ومنها « الثقة بالانسان واحترام شعوره » : ان معامـــلات الانسان ، وجميع تصرفاته صحيحة بموجب الأصل ، ما لم يثبت العكس ، الا فيما يدعيـه على غيره ، لأن كل انسان بريء مـا لم تثبت ادانته ، وكل من يدين بدين يرتب عـــلى اعماله آثار الصحة ما دامت موافقة لما يعتقد ، وان خالفت الاسلام .

ومنها « تحريم الاستغلال » : إن الغش والربا والاحتكار ، وكل معاملة تؤدي الى استثمار الغـير ، باطـلة ، وكل احتيـال على الشرع والقانون ، تضليـل ، وكل من كان في يده شيء يمنع من التصرف به إذا أدى الى الاضرار بغيره .

ومنها « الاباحة والحل » : كل شيء فيه صلاح للناس من

جهة من الجهات فهو حلال ، وكل من اضطر الى شيء فهو له مباح ، فالجائع الذي لا يجد سبيلاً للعيش لا يعاقب على السرقة، والمدين الذي يعجز عن الوفاء لا يحبس ولا يحجز ما يضطر اليه من مسكن ومأكل وملبس .

ومنها « الذمة » : لكل بالغ عاقل صفة ذاتية تؤهله للالزام والالتزام بماله وما عليه ، وعلى من ضمن وتعهد او اؤتمن على عمل أن يؤديه على وجهه ، وللطرف الثاني الحق في ان يحاسبه ويلزمه بالوفاء ، وان يتسلط عليه وعلى ماله إذا خان او قصر . والشرط الرئيس لصحة الالزام والالتزام أن يكون العمل حقاً للملتزم وسائغاً في نفسه ، لا يستدعي ضرراً على من التزم او ألزم ولا على غيرهما، فكل معاهدة تخرج عن اختصاص المتعاهدين او تضرُّ بهما أو باحدهما او بغيرهما او تكون مجهولة الحقيقة والعاقبة ، هي تضليل يجب الغاؤها ، وكل تجارة او زراعة او صناعة فيها شائبة الضرر ، هي فاسدة ، وكل من نذر او أقسم او عاهد الله ان يفعل ما يضر به او بغيره ، فنذره وقسمه وعهده لغو. قرر الصادق هذا المبدأ باحاديث منها : من اشترط شرطاً سوى كتاب الله فلا يجوز له ولا عليه. والمسلمون عند شروطهم إلا شرطاً حلل حراماً او حرَّم حلالاً . كل شرط خالف كتاب الله فهو مردود . إذا

رأيت خيراً من يمينك فدعها ، وافعل الذي هو خير، ولا كفارة عليك ، انما ذلك من خطوات الشيطان ، إن الكفارة اذا حلف الرجل على ان لا يزني ولا يشرب ولا يخون ، وأشباه هذا .

ومنها « الاقرب فالاقرب » : اعتمد الصادق على هذا المبدأ في الأرث ، فجعل الاولاد والآبــاء أولى بالارث من الأخوة ، والاجداد والاخوة أولى من الاعمام والاخوال ، فمتى وجدواحد من المرتبة المتقدمة حجب عن الارث كـل من كان في المرتبـة المتأخرة ، فالبنت تحجب عمها ، كما يحجبه الابن من غير فرق ، واعتمد على هذا المبدأ ايضاً في النفقات قال : ان افضل ما ينفقه الانسان، على نفسه وعياله، ثم على والديـه، ثم الثالثة على القرابـة والاخوان، ثم الرابعة على الجيران الفقراء ، ثم الخامسة في سبيل الله ، وهو أخسها أجراً .

« الاجتهــــاد » : باب الاجتهاد مفتوح لكل من لهالأهلية، ويحرم على من يمكنه الوصول بنفسه الى معرفة الاحكام أن يقلد غيره ، ويجب عليه العمل برأيه ، فان أصــاب فهو مأجور ، وان اخطأ فمعذور .

« من لا يعمل لا يأكل » : إذا احتاج انسان الى النفقة ،لأنه لم يجد عملاً ، أو وجده وعجز عنه ، لمرض او شيخوخة، جاز ان

يأخذ مقدار كفايته من بيت المال ، وان يطالب اقرباءه بالنفقة ، إن كانوا من ذوي اليسار ، أما اذا قدر على العمل ، وتركه تكاسلاً ، فلا يعطى من بيت المال شيئاً ، ولا يحكم على أقربائه بنفقته ، لأن ذلك تشجيع له على الكسل ، واغراء بالبطالة .

ان هذه المبادىء التي ذكرناها بقصد التمثيل لا بقصد الحصر، تسري في الامور المدنية كالبيع والاجارة ، وما اليها من الموجبات والعقود ، وفي الامور الجنائية كالقتل والسرقة ، وفي الاحوال الشخصية كالزواج والوصايا ، وفي جميع المعاهدات والالتزامات ، وهي تمثل لنا روح التشريع في احكام الامام الصادق ، ومذاهبه في الفقه الذي استمده من واقع الحياة ، من كرامة الانسان وحريته وحاجاته ومصالحه ، لا من الظن والخيال ، ولا من اهواء السلطات ؛ وشهوات المحتكرين. ان الحرية والمساواة وصيانة حقوق الانسان واحترام ذمته وما الى ذلك ،هي الادلة الصحيحة للفقه عند الامام الصادق ، وما الكتاب والسنة إلا تعبير صادق ولسان ناطق لهذه المبادىء ، وهذا ما أراده حين قال لشيعته : لا تقبلوا علينا حديثاً الا ما وافق القرآن والسنة ، او تجدون معه شاهداً من أحاديثنا ، أي لا تقبلوا حديثاً فيه شائبة الظلم والمحاباة . ان هذه النظرة الى الفقه نتيجة طبيعية لتلك الثقافة

الواسعة ، والعلم الغزير ، وعلى هذا المبدأ يجب على من يريـد أن يفهم الفقه فهماً صحيحاً أن يعي المبادئ الانسانية قبل كل شيء، والا فهو أبعد ما يكون عن فقه الصادق ، وآيات الله ، وسنة الرسول .

فرق الشيعة



ينقسم المسلمون الى فرقتين : السنة ، والشيعة ، ثم تفرعت الفرق الاسلامية عنهما . وقـــد نسب الى الشيعة فرق كثير ، بل نسب الى الشيعة الغلاةُ الذين ألهوا علياً وبنيه ، وليس هؤلاء من الاسلام على شيء ، لأن اساس الاسلام التوحيد والتنزيه عن الشرك، وعلى أي الاحوال فان الموجود الآن من فرق الشيعة ثلاث:

« الاولى » : الزيدية ، وأئمتهم أربعـة علي بن ابي طالب والحسن والحسين وزيد بن علي بن الحسين، وفي كل عصر يختارون اماماً يدبر شؤونهم من ولد علي خاصة ، على شرط أن يكون عالماً عادلاً ، وان يقوم بالسيف في وجه الاعداء . ولا يوجبون العصمة لاحد من الأئمـة . ولهم دولة في اليمن ، وأمامهم الحـالي سيف الاسلام احمد بن يحيى .

« الفرقة الثالثة »: الاسماعيلية، ونعني بهم غير أتباع علي خان،

وأئمتهم سبعة علي والحسن والحسين وولده علي وولده محمد الباقر وولده جعفر الصادق وولده اسماعيل ، ومنهم عدد كبير في الهند ، ومنهم الخلفاء الفاطميون الذين ملكوا مصر اكثر من مئتي سنة ، وآخر خليفة لهم قتله صلاح الدين الايوبي سنة ٥٦٧ ، وليس لهم اليوم دولة .

« الفرقة الثالثة » : الامامية ومنهم الاثنى عشرية ، وهم اكثر فرق الشيعة عدداً وانتشاراً ، وأئمتهم اثنى عشر :

علي بن ابي طالب	توفى سنة ٤١ هـ
وولده الحسن	٥٠
وأخوه الحسين	٦١
وولده علي	٩٥
وولده محمد الباقر	١١٥
وولده جعفر الصادق	١٤٨
وولده موسى الكاظم	١٨٢
وولده علي الرضا	٢٠٢
وولده محمد الجواد	٢٢٠
وولده علي الهادي	٢٥٤
وولده حسن العسكري	٢٦٠

والمهـــدي .

ومن الامامية الحمدانيون حكموا في سوريا من سنة ٢٩٢ ه الى سنة ٣٦٨.

والبويهيون حكموا العراق وقسماً من ايران من سنة ٢٢٤ الى سنة ٤٢٧ .

ومنهم ملوك ايران منذ عهد الصفويـــين الى اليوم ، ولهم مدارس دينية في الهند والعراق وايران اشهرها جامعة النجف ، وقد مضى على تأسيسها ما يقرب من الف سنة، وجامعة قم ، وهي قديمة أيضاً ، ولهم مؤلفات في الفلسفة وعلم الكلام والتوحيد ، وفي الفقه والحديث والرجال والاصول والتاريخ والأدب واللغة والجعرافيا والطب والحساب والهندسة، وألف السيد محسن الامين كتاباً ضخماً بلغ مئة جزء اسماه اعيان الشيعة ، وطبع منه ٣٥ جزءاً وفاجأه الموت قبل أن يتم طبع الاجزاء الباقية ، وقد ترجم فيه لجميع أئمـة الشيعة الامامية وملوكهم ووزراءهم وامراءهم وعلماءهم وفلاسفتهم وعدد مؤلفاتهم في شتى العلوم .

ويبلغ عدد الامامية ما يقرب من سبعين مليوناً منتشرين في العراق ، والاكثرية فيها امامية ، وايران ، وليس فيهـا غيرهم إلا القليل ، ومنهم نحو اثنين وثلاثين مليوناً في الهند ، ونحو عشرة

ملايين في روسيا وتركستان، والباقي في بخارس والافغان وسوريا ولبنان والحجاز واليمن والصين والتبت والصومال وجاوا والالبان وتركيا والبحرين والكويت والاحساء والقطيف.

ويعتقد الامامية بكل ما أسلفنا الاشارة اليه عند الكلام عن تعاليم الامام الصادق في علم الكلام والتوحيد. اما عقيدتهم بأئمتهم الأثني عشر فهي أن الأئمة ليسوا بآلهة، ولا بانبياء يوحى اليهم، وانما هم بشر يقومون مقام الانبياء في بيان تشريع الاحكام، وقد أكرمهم الله بكل فضيلة، يمكن أن يتصف بها الانسان. بل ان كل إمام هو أعلم وأجمع للفضائل من أهل زمانه، وكل الأئمة معصومون.

معنى العصمة

ومعنى العصمة عندهم ان الامام بلغ من الكمال حداً لا يترك معه واجباً مع قدرته على تركه، ولا يفعل محرماً مع قدرته على فعله، وانه منزه عن الخطأ (والسهو والنسيان فيما يؤديه عن الله فاما ما سواه فقد جوّز الامامية ان ينسى الامام ويسهو عنه ما لم يؤد ذلك الى اخلال بالعقل). ومن نسب الى الامامية غير هذا من معنى العصمة فقد خلط بينهم وبين الغلاة.

والغلاة أصناف ، ومنهم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ ، وهو أول من أظهر الغلو . قال هؤلاء : حل في علي جزء إلهي ، واتحد بجسده ، وبه يعلم الغيب وأتى في الغمام ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه ، وهذا الجزء الالآهي ينتقل بنوع من التناسخ من امام الى امام . ومنهم الخطابية اتبـــاع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الاسدي ، قالوا : ان جعفر الصادق هو إله زمانه قال الشهرستاني: وقد بالـغ الصادق في التبريء من ابي الخطاب واللعن عليه .

ومنهم المفوضه قالوا : ان الله خلق الأئمة ، ثم اعتزل تاركاً لهم خلق العالم وتدبير شؤونه .

ومنهم من يدين بثالوت مكون من الآب وهو علي، والابن وهو محمد، وروح القدس وهو سلمان الفارسى .

ومنهم من قال : إن الأئمةبشر وليسوا بآلهة: ولكنهميعلمون ضمائر الناس ، وما كان ويكون الى يوم القيامة ، ومن الطريف قول بعضهم ان يوم الأحد معناه علي ، ويوم الاثنين معناه الحسن

والحسين. وهذه الفرق كلها بائدة وليس لها اثر إلا في بطون الكتــــب .

وقد ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل فرقاً عـــدة للغلاة ، ولكن اقوالها كلها ترجع الى شيء واحد ، الى ان الأئمة آلهة اواشباه آلهة، أو انصاف آلهة ،وأقوالهم هذه أشبه باقوال بعض الصوفية الذين لا يجدون فرقاً بينهم وبين الله في شيء. واي كان فان للغلاة دينهم الخاص ، وهو لا يمت الى الاسلام بصلة . وما زال كثير من الكتاب ينسب جهلاً او تنكيلاً عقيدتهم الى جميع فرق الشيعة حتى الامامية ، مع ان الامامية قد استدلوا في كتب عقائدهم واصولهم على كفر الغلاة ، ووجوب البراءة منهم ومن كل ما فيه شائبة الغلو . ومن أدلتهم على نفي المغالاة الآية ٧٧ من سورة المائدة (قل يا اهل الكتاب لا تغـلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل) والآيـة ١٤ من سورة الزخرف (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الانسان لكفور مبين) وغيرهما من الآيات، وقول الامام علي : هلك في اثنان مبغض قال ، ومحب غال ، وقول جعفر الصادق : (ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، ما نقدر على نفع ولا ضرر ، ان رحمنا فبرحمته ، وان عذبنا فبذنوبنا ، والله

ما لنا على الله من حجة ، ولا معنا من الله براءة ، وانـــا لميتون وموقوفون ومسؤولون ، من أحب الغـــلاة فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبنا .

الغلاة كفار ، والمفوضة مشركون . لعن الله الغـلاة . ألا كانوا يهوداً ! ألا كانوا قدرية ! ألا كانوا مرجئـــة ! ألا كانوا حرورية ! أي خوارج)

فالامامية يعتقدون أن الخوارج الذين كفروا عليا هم أفضل من الغلاة الذين ألهوه وألهوا ابناءه .

الامامية وزيارة قبور أهل البيت

تسافر الامامية الى العراق لزيارة قبر الامام علي في النجف، وقبر الحسين وأهله وأصحابه في كربلاء، وقبر موسى الكاظم ومحمد الجواد في الكاظمية ، وقبر علي الهادي وحسن العسكري في سامراء، ويسافرون الى ايران لزيارة قبر علي الرضا في خراسان، وقد بني على قبر كل واحد من هؤلاء الأئمة عليهم السلام مسجد كبير تعلوه قبة مصفحة بالذهب، ومنارتان كذلك، وبرج ساعة، وفي داخـل المسجد صندوق ضخم محبك بالفضة حيطانه مزينة بالمرايا والقاشاني ،

وتسافر الامامية ايضاً الى الحجاز لحج بيت الله الحرام في مكة ، وزيارة قبر الرسول في المدينة ، وقبر الحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق ، وقبر السيدة فاطمة .

وقد كان على قبورهم مساجد وقبب ومنارات هدمها الوهابيون يوم تغلب الملك عبد العزيز بن السعود على الملك حسين بن علي واستولى على الحجاز، وتسافر الامامية الى دمشق لزيارة قبر السيدة زينب بنت الامام علي .

عقيدة الامامية بعلي



خطأ الخوارج عليا ، وألهه الغلاة ، ووقف الشيعة الامامية موقفاً وسطاً بينهما ، أحبوه ، ولكنهم لم يرفعوه الى مكان الآلهة ، ولا الى منصب النبوة ، عملاً بقوله «سيهلك فيّ صنفان : محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق ، وخير الناس فيّ حالا النمط الأوسط » .

ويعتقدون أنه أفضل الصحابة قاطبة ، لأنه يشاركهم في فضل الصحبة ، وينفرد عنهم بفضائل لا يشاركه فيها أحد منهم ، وهي :

١ ـــ انه خليفة الرسول بنص الكتاب والسنة، فمن الكتاب الآية ٥٨ من سورة المائدة « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويأتون الزكاة وهم راكعون » . قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير « روي عن أبي ذر أنه قال : صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر ، فسأل سائل في

المسجد فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده الى السماء ، وقال : اللهم أشهد أني سألت في مسجد الرسول فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي (ع) كان راكعاً ، فأومأ اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي فقال : اللهم إن أخي موسى سألك فقال ربي اشرح لي صدري الى قوله وأشركه في أمري ، فأنزلت قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا .اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيراً من أهلي عليا أشدد به ظهري ، قال ابو ذر : فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال يا محمد اقرأ إنما وليكم الله ورسوله الى آخرها » .

ومن السنة قول الرسول ﷺ « من كنت مولاه فعلي مولاه .. انت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي » الى غير ذلك من الاحاديث.

٢ ــ انه معصوم لم يرتكب محرماً مع قدرته على فعله ، ولم يترك واجباً مع قدرته على تركه ، ولم يخطيء فيما ينقله عن الرسول .

٣ ــ انه اول القوم إسلاماً ، وانه لم يشرك بالله طرفة عين، لأنه أسلم، وهو غلام بدعوة الرسول ﷺ ، وصلى لله حيث لا يوجد على وجه الارض مسلم آمن بمحمد إلا زوجته خديجة وعلي

ابن أبي طالب .

٤ ـــ انه تخلق بأخلاق الرسول ﷺ ، لأنه استوهبه من أبيه ابي طالب وهو طفل ، وضمه الى عياله ، وقام بنفسه على تربيته وتنشئته ، وبقي ملازماً له ملازمة الظل لظله .

٥ ـــ انه بات على فراش الرسول ﷺ ووقاه بنفسه حين ذهب هو وصاحبه ابو بكر الى الغار .

٦ ـــ ان النبي اختاره أخاً له حين آخى بين المسلمين .

٧ ـــ انه تولى غسل النبي ﷺ ودفنه ، والى هذا أشار في بعض خطب النهج « ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن رأسه لعلى صدري ، ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها علي وجهي[1] ، ولقد وليت غسله ، والملائكة أعواني ، فضجت الدار والأفنية ، ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم . يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه ، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً ! »

٨ ـــ ان نسل النبي ﷺ منه خاصة .

٩ ـــ انه أعلم الأصحاب جميعاً ، وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « انا مدينة العلم وعلي بابها » .

---

(١) روي أن النبي قاء في مرضه دما ، فتلقاه الامام ومسح به وجهه .

١٠ ـــ انه من أهل بيت الرسول بنص آية التطهير، وآية المباهلة.

١١ ـــ ان في القرآن آية عمل بها علي وحده ولم يعمل بها أحد قبله ولا بعده، وهي آية ١٢ من سورة المجادلة «يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم». أكثر المسلمون المسائل على الرسول ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عنه، فأنزل هذه الآية تأمرهم أن يتصدقوا على الفقراء قبل أن يسألوا فشحوا وكفوا، قال الرازي في تفسيرها:

«روي عن ابن جريج والكلبي وعطاء عن ابن عباس أنهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا، فلم يناجه أحد الا علي (ع) تصدق بدينار، ثم نزلت الرخصة، قال القاضي والاكثر في الروايات على ان علياً تفرد بالتصدق قبل المناجاة، ثم ورد النسخ، وإن كان قد روي ايضاً أن أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك».

١٢ ـــ ان النبي ﷺ أمر بسد جميع الابواب التي كانت تفتح على المسجد حتى باب عمه العباس بن عبد المطلب الا باب علي أبقاه مفتوحاً.

١٣ ـــ ان الله أمر النبي ﷺ أن لا يؤدي سورة براءة احد إلا هو أو رجل منه ، فبعث بها عليا ، وأداها عنه .

١٤ ـــ حضر مع الرسول جميع غزواته الا تبوكاً ، حيث استخلفه الرسول عنه على المدينة ، ولما قال له الامام : لاتخلّفني يا رسول الله، فاني لم أتخلف عنك في غزواتك قط ، قال له : أنت مني بمنزلة هارون من موسى . وكان حامل رايته ، ومافر من زحف ، وما بارز بطلاً الا قتله ، ولم يعرف عن أحد من المسلمين أنه قتل من ابطال الشرك كالذين قتلهم الامام . أمثال مرحب وعمرو بن عبد ود .

١٥ ـــ انه جاهد في سبيل الاسلام ، واحقاق الحق، وضحى بما لم يضح به مسلم لا من الصحابة ولا من غيرهم ، قاتل المشركين مع الرسول على تنزيل القرآن ، وقاتل على تأويله الناكثين اصحاب الجمل ، والمارقين الخوارج ، والقاسطين اهل الشام ، قاتل هؤلاء لأنه ارادهم للحق ، وأرادوه للباطل ، ولم يجد ندحة إلا السيف ولا سبيلاً إلا الحرب ، فأعلنها ، وهو لها كاره .

هذا ملخص عقيدة الامامية بالامام علي بن طالب (ع) .

ومن نسب اليهم غير ذلك فهو اما جاهل لا يفرق بين الامامية وبين الغلاة ، واما خائن يعمل على تمزيق الوحدة بين المسلمين، وانشقاق صفوفهم خدمة لاعـــداء الاسلام والعروبة ، وكيف ينسب الامامية الى المغالاة ، وقد ذكروا من جملة فضائل الامام أنه خاصف نعل الرسول ﷺ ، وأنه قـــال مفتخراً : أنا خاصف النعل .

تذكرت عند كتابة هذا الفصل حكاية لسعد بن أبي وقاص والد عمر بن سعد قاتل الحسين ، جرت له مع معاوية بن ابي سفيان ، أرى من المناسب أن تكون ختام الفصل .

خرج معاوية للحج، فمر على المدينة،فدعا سعد بن أبي وقاص للخروج معه فلبّى سعد الدعوة ، ولما انتهت اعمال الحج انصرفا إلى دار الندوة ، وجلس معاوية على سريره وأجلس سعداً معه ، وأخذا بأطراف الحديث ، وغرّ معاوية إقبال سعد عليه فشرع في سب الامام علي ، وقال لسعد : ما يمنعك أن تسب ابا تراب ، فبان الغضب في وجه سعد وقام وقال في حدة :

أجلستني على سريرك ثم شرعت في سب علي ، والله لأن يكون لي خصلة واحدة من خصالٍ كانت لعلي أحب إليّ مما

طلعت عليه الشمس ، والله لأن أكون صهراً للنبي ﷺ ، لي من الولد ما لعلي أحب الي مما طلعت عليـــه الشمس . والله لأن يكون النبي قال لي ما قاله يوم خيبر « لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، ليس بفرار يفتح الله على يده » أحب الي مما طلعت عليه الشمس . والله لأن يكون النبي قال لي ما قال له في غزوة تبوك « الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي » أحب الي ممـــا طلعت الشمس . لا أدخل عليك داراً بعد اليوم ، ثم نفض سعد رداءه وخرج .

من تسبيحات
الامام زين العابدين

●

قارن بعض الأفاضل بين الأديان ، وانتهت به المقارنة الى أن تعاليم موسى تهدف الى السعادة الدنيوية المادية ، قال : والى هذا أشار القرآن الكريم « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الامر » الآية ٤٤ القصص وتهدف تعاليم السيد المسيح الى السعادة الروحية الأخروية ، واليه اشارة الآية ١٥ من سورة مريم «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا» . وتعاليم محمد تجمع بين السعادتين .

وأظن أن صاحب هذا الرأي أراد أن يثبت فضل الاسلام فسلك هذه السبيل ، مع أن الشواهد على فضل الاسلام أكثر من أن تحصى، وهذا الرأي يستتبع نفي النبوة عن موسى وعيسى ويتنافى مع رسالة محمد ﷺ التي اعترفت صراحة بما أنزل عليهما من التوراة والانجيل « وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس،

وأنزل الفرقان » الآية ٣ آل عمران ، ووجه المنافاة أن الأديـان كلها تهدف الى صلاح الانسان ، والانسان مادة وروح ، كان كذلك وما زال ولن يزال ، ولم يكن مـادة فقط في عهد موسى ، وروحاً فقط في عهد عيسى ، وجامعاً لهما في عهد محمد .

إن رسالة الدين أي دين ترتكز على الجانب المادي والجانب الروحي في الانسان ، ولا تفصل بينهما بحال . خذ أي تعليم من تعاليم الدين الصحيحة الثابتة فانك تجدها مرتبطة بالمادة ارتباطاً وثيقاً حتى الصلاة فانها إعتراف من المصلي بوجود قوة داعيـــة الى عمل الخير في دنيانا هذه .

هذا علي بن الحسين بن علي كان يلقب لكثرة عبادته وزهده بالسجاد، وبزين العابدين، ناجى ربه بأدعية جمعت في كتاب اسمه الصحيفة السجادية ، وأسلوبها أشبه باسلوب نهج البلاغة لجـده الامام علي بن أبي طالب، وتبدو هذه الأدعية للوهلة الاولى روحية محضة لا تمت الى المادة بسبب ، ولكن بالتأمل تظهر صلتها الوثيقة بالعيش وبالاسرة وبالمجتمع ، واليك الأمثلة :

كل يوم حادث جديد

من دعاء له كان يردده في الصباح والمساء « وهذا يوم حادث جديد وهو علينا شاهد عتيد ، إن احسنّا ودّعنا بحمد ، وإن اسأنا

فارقنا بذم » .

إن كل يوم من حياة الانسان هو صفحة جديدة تُنشر في الصباح ، وتطوى في المساء لتنشر الصفحة التالية ، وهكذا الى اليوم الأخير من حياته حيث تنتهي آخر صفحة من الكتاب ، توضع الارقام لكل صفحة بالتسلسل ، وتسجل فيها الأعمال اليومية بالترتيب ، ويقرأ الناس هذه الصفحات ، فان وجدوا في صفحة أثراً لاعزاز الحق واذلال الباطل قالوا هذا يوم أغر ينطق بالشكر والثناء على صاحبه ، لأنه أحسن صحبته فاستقبله بعمل الخير والاحسان ، وفارقه بترك الشر والطغيان .

ان الوقت أثمن ما في الحياة ، بــــل هو نفس الحياة فمن استخف بوقته فقد استخف بحياته ، والكسالى الذين تتاح لهم فرصة العمل ، ولا يعملون يجب عدهم مع الاموات ، بــــل الأموات خير وأفضل ، لأنهم لا يزاحمون الاحياء على عيشهم ولقمــــة اطفالهم ، ومن قضى حياته بالكذب والرياء والخيانة، فقد انحرف بالحياة عن طريقها القويم الى سبيل المهالك والمفاسد، ومن استعان بوقته على عمل الخير فأرشد الضال ، وأعان الضعيف ، وأدرك اللهيف فقد أدى أمانــــة الدين والانسانية حق الاداء ، واستحق المدح والثناء .

التوبـــة

قال الامام من دعائه لطلب التوبة « اللهم انه يحجبني عن مسألتك خلال ثلاث ، وتحدوني عليها خلة واحدة ، يحجبني أمر أمرت به فأبطأت عنه ، ونهي نهيتني عنه فأسرعت اليه ، ونعمة أنعمت بها علي فقصرت في شكرهـــا ، ويحدوني على مسألتك تفضلك على من أقبل بوجهه عليك ، ووفد بحسن ظنه اليك ، اذ جميع احسانك تفضل ، وإذ كل نعمك ابتداء » .

من الناس من يفعل الواجب ويترك المحرمات ، وعمل هذا خير محض ، ومنهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئـــاً ، ومنهم يترك الواجب ، ويفعل المحرم ، ولا يشكر النعمة ، وعمل هذا شر محض ، وهو الذي قصده الامام ، واخذ بيده الى طريق التوبة والهداية ، وعرفه أن ذنبه مهما عظم فـان عفو الله أعظم ، وأن الله يقبل التائب ويثيبه ، لأنه لا يعطي الناس استحقاقاً ، بل تفضلا ، وأن رحمته أقرب من نقمتـه ، ورضاه أقرب من غضبه ، يعطي الكثير ويتجاوز عن الاثم الكبير ، ولو عامل الناس بما يستحقون ما ترك على ظهرها من دابة .

الوالدان

وقال من دعائه لابويه « يا الهي أين طول شغلهما بتربيتي !

وأين شدة تعبهما في حراستي ! وأين اقتارهما على أنفسهما للتوسعة علي ! هيهات ما يستوفيان مني حقهما ، ولا أدرك ما يجب علي لهما ، ولا أنا بقاض وظيفة خدمتهما » .

يضحي كل من الأب والأم بالنفس والنفيس في سبيل الولد ، فيقدم صحته على صحته ، وحياته على حياته ، ثم لا يبتغي منه جزاء ولا شكورا ، وكل رغبته أن يكون شيئاً مذكوراً ، فيزين محضره ، ويحيي ذكره ، ويسد مسده في غيابه ، ان الولد البار يقابل هذه التضحية بالطاعة والشكر ، فيؤثر — كما قال الامام — رضاهما على رضاه ، ويقدم هواهما على هواه ، ويهابهما مهابة السلطان العسوف ، ويبرهما بر الأم الرؤوف ، ويستكثر برهما به وان قل ، ويستقل بره بهما وان كثر .

المـال

ومن دعائه « اللهم صل على محمد وآل محمد ، وهب لي العافية من دَيْن تُخلق به وجهي ، ويحار فيه ذهني ، ويتشعب له فكري ، ويطول بممارسته شغلي ، وأعوذ بك يا رب من هم الدين وفكره ، وشغل الدَين وسهره ، فصل على محمد وآل محمد ، واعذني منه ، واستجير بك يا رب من ذلته في الحياة ، ومن تبعته بعد الوفاة ،

فصل على محمد وآل محمد ، واجرني منه بوسع فاضلٍ او كفاف واصل ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، واحجبني عن السرف والازدياد ، وقومني بالبذل والاقتصاد ، وعلمني حسن التقدير ، واقبضني بلطفك عن التبذير ، واجر من اسباب الحلال ارزاقي ، ووجه في ابواب البر انفاقي ، وازوِ عني من المال ما يحدث لي مخيلة أو تأدياً الى بغي أو ما أتعقب منه طغياناً ، اللهم حبب الي صحبة الفقراء واعنيّ على صحبتهم بحسن الصبر » .

تعوذ الامام من الدَين ، لأنـه هم وذل وقلق واضطراب ، حيرة في النهار وسهر في الليل ، تعوذ من الدين ، وسأل الله الغنى عنه برزق واسع فاضل ، او كفاف واصل ، ولكن المال وحده لا يغني عن الدَين اذا لم يكن معه تدبير وحسن تقدير ، فقد يكون للمرء املاك طائلة ، ولكنه يبذرها في غير وجهها ، فيضطر الى الدين ، والرهونات ودفع الربا ، لذا سأل الامام ربَه أن يقومـه بالبذل والاقتصاد ، أي بالاعتدال في البذل والانفاق ، فيأتيـــه المال من الحلال ، ويصرفه في الحلال ، فلا يأخذ درهماً من غـير حق ، ولا يضع درهماً في غير موضعه ، كما سأله أن يزوي عنه من المال ما يحدث الخيلاء والكبرياء ، ويؤدي الى البغي والطغيان ، وما رأيت كلاماً أجمع وأوجز في المال من هذا الكلام ، كسب

من عمل حلال، وانفاق في سد حاجة،حياة لا لك ولا عليك ، ولا شائبة فيها من حرام ، ولا غطرسة واستعلاء ، ولا ذل واستجداء .

وقد يتساءل : ان الامام سأل ربه في دعائه أن يرزقه صحبة الفقراء مع أنه تعوذ من الفقر والدين ، ومن اقواله في غير هـذا الدعاء « ولا تجعل عيشي كداً كداً ... وصن وجهي باليسار ، ولا تبتذل جاهي بالاقتار ، فاسترزق أهل رزقك ، واستعطي شرار خلقك ، فافتن بحمد من أعطاني ، وابتلي بـــذم من منعني ... واعصمني من ان أظن بـذي عـدم خساسة ، أو أظن بصاحب ثروة فضلاً » .

الجواب : ان الفقر كما قال الامام كد ونكد وذل ، وهو فوق ذلك يحمل صاحبه على ان يظن الشر بأهل الخير ، والخير بأهل الشر ، فيذم من يستحق المدح ، ويمدح من يستحق الذم ، لذا تعوذ منه الامام ، اما صحبة الفقراء فانها السبيل الى معرفـة المجتمع وأدوائه ، والباعث على الجهاد والعمل لتغيير الاوضاع الفاسدة ، على العكس من مجالسة الأغنياء فانها تبعث على الكسل والخمول ، وسوء الظن بالله والصالحين من عباده . قال الرسول الأعظم ﷺ : لا تجالسوا الموتى ، قيل من هم يا رسول الله؟ قال: كل غني مترف . وقال الامام علي (ع) : مجالسة الاشرار تورث

سوء الظن بالاخيار ، وقال الامام محمد الباقر : إياكم ومجالسة الأغنياء ، فان الانسان يجالسهم ، وهو يرى أن لله عليه نعمة ، فما يقوم حتى يرى أن ليس لله عليه نعمة ، وسنوضح هذه الفكرة في فصل حب المال .

الشعور بالمسؤولية

ومن دعائه « اللهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره ، ومن معروف أسدي الي فلم أشكره ، ومن مسيء اعتذر الي فلم أعذره ، ومن ذي فاقة سألني فلم أوثره ، ومن حق ذي حق لزمني فلم أوفره ، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره ، ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره » .

إن معنى الدين أن يشعر الانسان بالمسؤولية امام الله ، وامام نفسه، وامام الناس ، وفي هذه الكلمات القصار نجدالتفسير الكافي الوافي للشعور بالمسؤولية .

فاذا رأيت قوياً يتحكم بضعيفٍ لا يجد عليه ناصراً إلا الله وأهل الدين والضمير ، ولم تكترث ، ولم تشعر بوجود رقيب خفي فاعلم بأنه لا دين لك ولا ضمير .

وأيُ انسان أسدى اليك معروفاً مادياً او أدبياً ، ولم تشعر بوجوب شكره ومبادلته ، بل كان عندك ومن يجهلك سواء فأنت

ملعون بكل دين .

وإذا أساء اليك شخص ، ثم اعتذر ولم تشعر بأن عليك ان تقبل وتسامح فأنت لئيم تبرأ منك الانسانية والاديان السماوية .

واذا سألك « سائل » وأنت تعلم بفقره وفاقته ، ولم تشعر بأنك أصبحت مديوناً له ، او استدنت ديناً ، ولم تشعر بوجوب الوفاء فأنت فوضي فاقد الاحساس لا تبالي أأحسنت أم أسأت .

واذا رأيت عيباً « شخصياً » من أخيك فطرت به فرحاً تعلنه على الناس ، ولم تشعر بان ما أخفيت من عيوبك أضخم وأعظم كنت من دعاة الفاحشة والضلالة .

وإذا قادك الهوى لارتكاب إثم، ولم تشعر من نفسك برادع يردعك عنه فأنت لا تؤمن بالله ولا بالضمير ، حتى ولو حلفت بالله ألف مرة في اليوم ، وصليت له في الصباح والمساء .

وبالتالي فكل ما يخلق الشعور بالمسؤولية ، والخوف من عمل الشر ، والاطمئنان لعمل الخير فهو من الدين في الصميم ، وإلا فتخريف وأوهام .

الزكاة

•

للانتاج سببان : الاول الأرض بما فيها من مواد خــام . الثاني الآلات الصناعية ، ورجال العمل والفكر والفن . أمـا التجارة فهي لتصريف الانتاج ومبادلته . وليست سبباً له ، وإن أدت أحياناً الى الربح فان لها مخاطرها من الهبوط والكساد بسبب المنافسة ، وعدم وجود الأسواق ، فأية أمة تعتمد ثروتها على التجارة فقط فهي مهددة بالاخطار . ونتكلم عن الانتاج وسببه على مذهب أهل البيت بمقدار ما يتسع له المقام .

الأرض

أقر الاسلام مبدأ الملكية الفردية ، وجعل أسبابهـا الارث والبيع والهبة والعمل ، ومنه إحيـــاء الأرض الموات بالتعمير والزرع والتشجير ، وفي الحديث « من أحيا أرضاً ميتة فهي له ، وليس لعرق ظالم حق » وقال الامام الصادق: الأرض لله ولمن عمرها.

فالاحياء سبب لتملك الأرض على أن لا يستتبع الاضرار بالغير ، وإلا فيكون المحيي ظالماً متعدياً لا يُحترم عمله ، ولذاقال فقهاء الامامية : يشترط لتملك الارض بالاحياء أن لا تكون عليها يد سابقة ، وأن لا تكون من مرافق الارض المعمورة وتوابعها ، كالطريق ومسيل الماء ومطرح الفضلات ، وما الى ذلك ، لان في إحياء هذه المرافق إيذاء وإضراراً بالغير، وأن لا تكون من المصالح المشتركة كأرض « منى والمشعر » والطرقات والاسواق ، وما تضطر اليه البلد من مرعى الحيوانات ، والحرب وحريم العين .

ومتى تمت الشروط بكاملها أصبحت الأرض ملكاً لمن أحياها ، له أن يبيعها ويهبها ، وهي من بعده لورثته ، وأما من أحيا أرضاً ثم تركها فقال الشهيد الثاني في كتاب المسالك ـــ باب احياء الموات ـــ : هي لمن أحياها بعده ، ولا يحق للأول المطالبة بها ، لأن أصلها مباح ، فاذا تركها رجعت الى أصلها ، كمن أخذ من ماء دجلة ، ثم رده اليها ، ولأن علة التملك هي العمارة فاذا زالت العلة زال الملك .

وقسم فقهاء الامامية الارض على نوعين : أرض عنوة ، وهي التي فتحت قسرا ، وأرض صلح ، وهي في البلاد التي أخذت صلحاً ، والاولى تصبح ملكاً للفاتحين ، والثانية تبقى ملكاً في يد

أصحابها، ونترك الكلام عن هذا التقسيم وأحكامه، حيث لا أثر عملي له اليوم.

المعادن

قال الفقهاء الامامية: تنقسم المعادن الى نوعين: ظاهرة، وهي التي لا يفتقر إخراجها الى عمل، كالملح والقار والكبريت وحجر الرحى ونحو ذلك، وهذه لا تملك بالاحياء، بل هي ملك للعموم، والناس فيها شرع سواء. ومعادن خفية، وهي التي لا تظهر إلا بالعمل، كالذهب والفضة والنحاس، وما اليه، وحكم هذه حكم الارض يملكها من سبق الى احيائها.

الصناعة

لم يكن في عهد الأئمة (ع) آلات وتجمع عمال، وانما كانت الصناعة عملاً يدوياً، أو قل لم يكن عصرهم عصر الصناعة الرأسمالية، بل عصر الاقطاع الزراعي، والصناعة اليدوية، اذن لا مجال للكلام عن الصناعة في ذلك العهد على ضوء القوانين الحديثة للعمال من تأمين حياتهم، وتحديد ساعات العمل، وقد حاول السيد قطب في كتاب ـ معركة الاسلام والرأسمالية ـ أن يثبت أن الاسلام حدد ساعات العمل بمبدأ « لا ضرر ولا

ضرار » وهو تكلف ظاهر، فان دلالة لا ضرر على تحديد ساعات العمل كدلالة « يا عباد الله اتقوا الله » على مشروع السنوات الخمس ، وبدهي أن عدم تعرض التشريع الاسلامي لتحديد مدة العمل لا ينقص من فضله وقيمته ، لأن تطور التشريع تابع لتطور الحياة ، وهي لم تبلغ في ذلك العهد ما يستتبع مثل هذا التشريع ، وقديماً قيل الطفرة محال ، وكفى الاسلام فضلاً ان يتقبل كل جديد مفيد .

وعلى أي الاحوال فان أهل البيت شجعوا الصناعات ، واعتبروها من مقومات الحياة التي لا يتم نظام التعايش بدونها ، وأنها من الواجبات التي يجوز أخذ الأجرة عليها [1] ، بل شددوا النكير على من يحول بين العامل وبين أجرة عمله ، ولم تحط الحرفة عندهم من قيمة صاحبها، مهما كان نوعها ، فالحائك والصباغ كفوء في الزواج لبنت الملك والامير، وتقبل شهادة صاحب الحرفة ان كان من أهل الصدق والايمان، على العكس من بعض المذاهب الاسلامية التي ردت شهادة اصحاب الحرف « الدنيئة » وأبطلت زواج ابن الحائك ببنت التاجر ان لم يأذن لها الولي ،

---

(١) قال المرجع السيد محسن الحكيم في المجلد الثامن من كتاب مستمسك العروة ص ١٦٧ « ان وجوب الشيء لا يمنع من أخذ الاجرة عليه » .

لعدم التكافؤ في الشرف والمكانة .

لقد شجع أهل البيت الصناعات ، وأوجبوا الاصلاح العمراني والزراعي ، وحرموا الاضرار بالغير ، واوجبوا تدخل الحاكم بالقوة في كل ما من شأنه أن يمس المصلحة العامة ، ويتجاوز الحريات المشروعة ، وفي نفس الوقت أقروا كل ما فيه خير الناس وصلاحهم ، وهذا أقصى ما يمكن أن يصل اليه التشريع في ذاك العهد .

الانتاج

لكل انسان أن ينتج ما يريد ، ويعمل ما يشاء ، أن يختار التجارة او الزراعة او الصناعة او أية مهنة أخرى ما دام لم يترك واجباً ولم يفعل محرماً ، ومتى تعدى حدود الله ، كما لو احتكر او رابى او غش او تجاوز الآداب العامة ، او أضر بغيره ضرب الاسلام على يده ، وأوقفه عند حده . ان توجيه الدولة للانتاج ، وتدخلها في جميع الاعمال لصالح الجميع يتوقف على أشياء أهمها القدرة على القضاء على الاستغلال ، ولم يكن هذا ممكناً في عهد التشريع الاسلامي ، ومن هنا يتبين خطأ الذين حاولوا أن يجعلوا بين الشريعة الاسلامية وبين الاشتراكية صلة ونسباً ، ان النظرية

الاشتراكية ترى ضرورة التدخل في جميع الاعمال، وهي لقاء ذلك تضمن العمل لكل قادر عليه، والعيش للعاجز عنه، أما الاسلام فيترك الخيار للانسان أن ينتج ما يشاء على شريطة أن لا يحلل حراماً او يحرم حلالاً، ووضع ضريبة على انتاجه، وأهل البيت يقسمون هذه الضريبة الى قسمين: زكاة، وخمس، ولذا أفرد فقهاء الامامية لكل واحد منهما باباً مستقلاً في كتب الفقه.

الزكاة

تكلم الفقهاء الامامية عن نوع الزكاة ومقدارها ونصابها وجبايتها ومصرفها، وأجبوها في تسعة أشياء: في النقدين الذهب والفضة، وفي الحنطة والشعير والتمر والزبيب، وفي الابل البقر والغنم، ولا تجب فيما عدا ذلك كالأرز والذرة والعدس والماش ونحوه، ولا في الفواكه ولا الخضار، ولا في الخيل والبغال والحمير، ولا في العملة اذا كانت ورقاً، وإنما ينظر فاذا فضل منها شيء عن مؤنة السنة فيؤخذ من الفاضل الخمس ٢٠ بالمئة، وإن لم يفضل عن المؤنة شيء فلا خمس ولا زكاة.

«النصاب»: لا تجب الزكاة في الذهب حتى يبلغ عشرين

ديناراً ، وفيها نصف دينـار ، وكلما زادت أربعـة عن العشرين ففيها عشر الدينار ، ولا تجب في الفضة حتى تبلغ مائتي درهم وفيها خمسة دراهم ، وكلمـا زادت أربعين درهماً ففيهـا درهم واحد ، وكل عشرة دراهم تساوي ديناراً ، والدينـــار يساوي نصف ليرة ذهبية ــ تقريباً ــ ، على شريطة أن تكون عملة مسكوكة، وان يمضي عليها حول عند صاحبها ، ونصاب الغلاة الاربعة الحنطة والشعير والتمر والزبيب ثماني مئة وثمانون كيلو ــ على التقريب ــ ولا تجب فيما دون ذلك ، وما يسقى بماء المطر والسيح ، أي بدون مشقة ففيه العشر ، عشرة بالمئة ، وما يسقى بالدلو ونحوه ففيه نصف العشر خمسة بالمئة ، وعن كل خمس من الابل شاة ، وعن العشر شاتان ، وعن الخمس عشرة ثلاث شياه ، وعن العشرين أربـــع ، وعن الخمس والعشرين خمس شياه، واذا بلغت ستاً وعشرين صارت نصاباًواحداً، وفيها بنت مخاض « ناقة بنت سنة او اقل » وليس دون الخمس شيء ، ونصاب البقر ثلاثون ، وفيها تبع « ابن سنةالى سنتين »واربعون وفيها مسنة « ابن سنتين الى ثلاث » . ونصاب الغنم أربعون وفيها شاة ، ثم مئة واحدى وعشرون وفيها شاتان ، ثم مئتـان وواحدة وفيها ثلاث شياه ، ثم ثلاث مئة وفيها أربع شياه ، ثم

مئة ففي كل مئة شاة ، بالغة ما بلغت ، والشرط في زكاة الأنعام أن تبقى حولاً عند صاحبها ، وان تكون سائمـة ، أي ترعى في المرعى الطبيعي ، وأن لا تكون عوامل طول الحول ، فلو أستعملها المالك اثناء الحول في بعض مصالحه فلا زكاة فيها .

وأجاز أهل البيت لمن وجبت عليه الزكاة أن يصرفها بنفسه على وجوهها ، ولو قال اخرجتها ، أخذ بقوله بلا بينة ولا يمين ، فقد جاء في نهج البلاغة أن الامام (ع) كان يأمر من يستعمله على الصدقة أن يسلم على أهل الحي ، ويقول لهم «ياعباد الله أرسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه الى وليه ، فان قال قائل لا فلا تراجعه».

أما الكلام عن الخمس فنكتفي بما قدمناه عند الكلام عن خصائص أهل البيت ، ويدخل في باب الخمس أرباح التجارة ، وحكمها أن يخرج منها مؤونة سنة كاملة للتاجر وعياله وضيوفه ، وما زاد ففيه عشرون بالمئة .

هـذه إشارة موجزة الى الزكاة ، ومن اراد التفصيل فعليـه بمراجعـة المجلد الثالث من كتـــاب الجواهر والسادس من مستمسك العروة الوثقى .

من احتجاجات أهل البيت

●

لأهل البيت (ع) احتجاجات في أصول الدين وفروعه ، وقد جمع الكثير منها احمد بن علي الطبرسي في كتاب خاص يُعرف باحتجاج الطبرسي ، أما طريقتهم في الاحتجاج فقد بينها الامام الصادق (ع) بحديث نشرحه للتوضيح بما يلي :

إن الجدال يكون بالتي هي أحسن ، ويكون بغير الأحسن — مثلاً — اذا أدعى انسان غير الحق ، ولم يأت بدليل ، وقلتَ له : أنت مبطل في دعواك فقد جادلته بغير الأحسن ، على الرغم من أنه مبطل ، أما الجدال بالأحسن فهو أن تسأله برفق عن الدليل ، كما علّم الله نبيه ﷺ بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » جواباً للذين أدعوا افتراء « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى ». وروي أن الامام كان يبين بعض الحقائق ، فقال له بعض من حضر : ليس الأمر كما قلت يا أبا

الحسن ، فقال الامام : قل حتى نسمع ، فان كان حقاً أخذنا بمقالتك . واذا ادعى المبطل غير الحق، وأتى بالدليل فعليك أن تنظر الى دليله فان كان باطلاً بذاته بينت وجه البطلان بالتي هي احسن، وإن كان صحيحاً بذاته باطلاً من حيث الدلالة ، كما لو استدل بحديث صحيح ، ولكنه قاصر الدلالة على مدعاه فعليك أن تسلم بأصل الدليل ، وتبطل وجه الدلالة ، وكثيراً ما يعجز المحق عن إبطال الدلالة ، ولا يدري كيف التخلص ، فيجحد أصل الدليل مع أنه حق ، مخافة أن تلزمه الحجة ، أي يدفع الباطل بجحود الحق ، وبهذا يكون هو والمبطل سواء ، بل اسوأ أثراً ، حيث جعل للمبطل عليه الحجة ، ومهد السبيل لدعاية التضليل ، وتغرير الضعفاء ، وانخداعهم بذوي الضلالة والفساد .

وقد وصف الامام (ع) مضار الجاهل الذي يتصدى للحكم وحيرته ومحاولته إخفاء جهله ، وصفه بأدق الأوصاف وأبلغها قال :

لا يدري أصاب أم أخطأ ، فان أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب . . . لا يحسب العلم في شيء مما أنكر ، ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره ، وإن أظلم أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه ، تصرخ من جور قضائه الدماء ، وتعج منه المواريث .

تجد هذه الصورة واضحة جلية فيمن يقول على غير قياس ، ويبني على غير أساس ، يحدس فيحكم ، ولكنه يشعر بجهله بينه وبين نفسه ، فيتظاهر بالمعرفة ليغطي النقص ، وهو خائف حتى لو أصاب ، لأنه لم يركن الى حجة ، وفي نفس الوقت يأمـل ان يصادف قوله الواقع فيطمئن الى خطئه ، على العكس من العالم الواثق بعلمه المطمئن الى رأيه لا يبالي بقول من قال ما دام معتصماً بالحجة البالغة ، والدليل القاطع ، ولا يصدر هذا القول الا عن حكيم خبير ، يعرف الحق والواقع ، ويعمل بما يعلم .

ذكر الطبرسي في كتابه طرفاً من احتجاجات النبي ﷺ والأئمة الاثني عشر (ع) وبعض أقاربهم من بني هاشم ومحبيهم من الشيعة ، منها :

الاحتجاج بالقرابة

لما بويع أبو بكر بالخلافة بعد الرسول ، ودعا الامام للبيعة قال : أنا أحق بهذا الأمر ، أخذتموه من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من الرسول ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى منهم لمكانكم من رسول الله ﷺ ، فأعطوكم المقادة ، وسلموا لكم الامارة ، وأنا أحتج عليكم بمثل

ما احتججتم على الانصار ، أنا أولى برسول الله حياً وميتاً ، أنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه .

وفي نهج البلاغة : واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة!.

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم
فكيف بهـــذا والمشيرون غيب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم
فغيرك أولى بالنـــبي وأقرب

الكلام والسكوت

سئل الامـام زين العابدين (ع) عن الكلام والسكوت أيهما افضل ؟

فقال : لكل واحدمنهما آفات، فاذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، لأن الله عز وجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت ، وإنما بعثهـم بالكلام ، ولا استحقت الجنـة ، ولا استوجبت ولاية الله ، ولا توقّيت النـــار ولا تجنب سخط الله بالسكوت ، انما ذلك كلـه بالكلام ... ولست تصف فضل الكلام بالسكوت .

نجونا وهلكت

قال ابن أبي العوجا للامام الصادق (ع): ليس وراء هذا الكون شيء فقال له الامام: إن يكن الأمر كما تقول نجونا نحن وأنت، وان يكن كما نقول نجونا، وهلكت، ونظم المعري هذا المعنى:

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تحشر الأجسام قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالخسار عليكما

المعصية من العبد

سئل الامام موسى الكاظم (ع) عن المعصية هل هي من الله او العبد؟ فقال: لا تخلو من ثلاث، إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء. فليس للحاكم أن يأخذ عبده بما لم يفعل، واما أن تكون من العبد ومن الله أقوى الشريكين، فليس للشريك الأقوى أن يأخذ الأصغر بذنب هما فيه سواء، واما أن تكون من العبد وليس من الله شيء، إن شاء عفا وإن شاء عاقب وهو المتعين، ونظم بعض الشعراء هذا المعنى:

لم تخل أفعالنا اللاتي نذم بهـــا
احدى ثلاث معانٍ حين نأتيها
إما تفرد بارينـــا بصنعتها
فيسقط اللوم عنا حين ننشيهـا
او كان يشركنا فيهـا فيلحقه
ما سوف يلحقنا من لائم فيها
او لم يكن لالهيّ في جنايتها
ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها

علي والغـــلاة

قيل للامام علي بن موسى الرضا (ع) : إن جماعةيزعمون أن جدك عليا إله فارتعدت فرائصه وتصبب عرقاً ، وقال : سبحان الله عما يقول الظالمون والكافرون ، وتعالى علواً كبيراً ! أوليس علي كان آكلاً في الآكلين ، وشاربـــاً في الشاربين ، وناكحا في الناكحين ، ومحدثاً في المحدثين ، وكان مع ذلك مضلياً خاضعاً بين يدي الله ذليلاً أوّاها منيباً ، فان كان هذا ، فليس احد منكم الا وهو إله ، لمشاركته له في هذه الصفات الدالة على حـدوث كل موصوف بها .

معاوية ومناقب علي

قال معاوية لابن عباس : قد كتبنا الى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي فكف لسانك .

فقال ابن عباس : أتنهانا يا معاوية عن قراءة القرآن !

قال معاوية : لا

قال ابن عباس : أتنهانا عن تأويله ، أي تفسيره .

قال معاوية : نعم

قال ابن عباس : أنقرأه ولا نسأل عما أراد الله بكلامه ! وأيهما أوجب علينا قراءة القرآن او العمل به !

قال معاوية : العمل به .

قال ابن عباس : كيف نعمل به ، ونحن لا نعلم ما عنى الله !

قال معاوية : سل عن تفسيره غيرك وغير أهل بيتك .

قال ابن عباس : نزل القرآن على أهل بيتي ، فنسأل عنه آل ابي سفيان ! أتنهانا يا معاوية أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام . ان الأمة إذا لم تسأل عن القرآن وتعمل به تهلك.

قال معاوية : أقرأوا القرآن وفسروه ، ولكن لا ترووا شيئاً مما أنزله الله فيكم ، وارووا ما سوى ذلك .

قال ابن عباس : ان الله يقول « يريدون أن يطفئوا نور الله

بأفواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » .

قال معاوية : يا ابن عباس إربع على نفسك ، وكف لسانك ، وان كنت لا بد فاعلاً فليكن ذلك سراً لا يسمعه أحد علانية ، ثم رجع معاوية الى بيته ، وبعث الى ابن عباس بمئة الف درهم ونادى مناديه أن برئت الذمة ممن روى حديثاً في مناقب علي وأهل بيته .

على هذا الاساس ، أساس المال والسيف أقام معاوية ملكه ، ومن هنا قال الذين يدينون بمبدأ معاوية : انه أدهى وأعرف بالسياسة من الامام (ع) ويظهر أن هذا قول قديم قيل في عهد الامام وسمعه ، ولذا قال : والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى العرب .

وأي إنسان يؤمن بالحق والعدالة ثم يرضى بملك الدنيا وما فيها عن طريق الظلم والغدر فضلاً عن امام معصوم كعلي بن أبي طالب ، دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية ، وهو معروف بانحرافه عن علي ، فقال : السلام عليك ايها الملك، فضحك معاوية وقال : ما كان عليك لو قلت يا أمير المؤمنين ، فقال سعد : أتقولها جذلان ضاحكاً ، والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به .

حب المال



لو أراد أهل البيت الثروة لسعت اليهم دون أن يسعوا اليها، فقد كان شيعتهم منتشرين في عهد الأئمة (ع) في بلاد العرب والعجم؛ وما من شيعي يملك كثيراً او قليلاً من المال الا يعتقد أن للامام فيه الخمس حقاً مفروضاً في كتاب الله وسنة نبيه، هذا إلى ان ما من خليفة او سلطان او وزير او أمير الا يود أن يشتري رضاهم وسكوتهم بكل ثمين، وقد استفاد كثيرون من الصحابةأموالاً طائلةلا لسببسوى اسم الصحبة، روى المؤرخون:

انه كان لعثمان يوم قتل عند خازنه خمسون ومئة الفدينار والف الف درهم، وقيمة ضياعه مئة الف دينار، خلف إبلا وخيلا كثيرة. وبلغ الثمن من متروك الزبير خمسين الف دينار، وخلف الف فرس وألف أمة. وكانت غلة طلحة من العراق الف دينار كل يوم، ومن ناحية السراة اكثر من ذلك. وكان

على مربط عبد الرحمن الف فرس ، وله الف بعـير ، وعشرة آلاف من الغنم . وخلف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما يكسر بالفؤوس .

هذا في حين ان امير المؤمنين ، وهو من اخص الاصحاب بالرسول وأفضلهم ، قد باع سيفه ، وقال : لو كان عندي عشاء ما بعته . ان عليا لا يتنكر لمبدأه ، ولا يناقض نفسه بنفسه ، قاتل مع الرسول اهل الثراء على شركهم وثرائهم ، فكيف يفعل اليوم ما أنكره بالأمس ، كما فعل بعض الأصحاب .

ان اهل البيت ينظرون الى المـال على انه وسيلة لا غايـة ، وسبيل الى سد حاجة لا تقضى بدونه ، فما ادى الى الواجب فهو خير وصلاح ، وما زاد عنه فهو شر وفساد .

قال رجل للامام جعفر الصادق : إنا لنحب الدنيا .

قال : تصنـع بها ماذا ؟

قال : أتزوج منها ، وأحج ، وانفق على عيالي ؛ وانيـــل اخواني ، واتصدق .

قال : ليس هذا من الدنيا ، هذا من الآخرة .

إن طلب الدنيا سداً لحاجاتها المادية والروحية طلب لحياة البقاء والنعيم ، وطلبها ابتغاء علو او فساد في الارض طلب لحياة

الفناء والجحيم .

فالمال ، اذن ، وسيلة لغيره ، لا غاية في نفسه ؛ يكون طيباً ، اذا حقق العدالة والمساواة ، ورفع حياة المجتمع الى مستوى اعلى، ويكون خبيثاً ، اذا ادى الى الظلم والطغيان ، وعـاق الحياة عن التقدم والتطور .

اما الفقر فهو كالظلم والاعانة على الاثم خبيث بذاتـــه لا يكون طيباً بحال من الاحوال ، لأنه مصدر المرض والجهل ، قال الرسول الاعظم ﷺ : الفقر هو الموت الاكبر ، وقال الامام لولده محمد بن الحنفية : يا بني اني اخاف عليك الفقر ، فاستعذ بالله منه ، فان الفقر منقصة للدين ، مدهشة للعقل ، داعيةللمقت، وقال : الغنى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة .. كاد الفقر انيكون كفراً ، فكيف يرضى به العادل الحكيم لمخلوق ! اناالله سبحانه يريد لعباده القوة والكرامة ، ولا يريـــد لهم الضعف والهوان . وبامكاننا ان نتصور التفاوت والتفاضل بين الناس في الرزق ، وما يزيد عن قدر الحاجة لسبب معقول عند اللهوالعدالة فيرزق هذا عشرة، وذاك ألف، اما التفاوت فياصل الرزقوالعيش فيأخذ هذا مئات الملايين ، ويحرم الألوف منقوت يومهم فقضاء الله وعدله بريئان من هذا الظلم والاجحاف .

وبعد هذا نستمع الى بعض الاحاديث المنسوبة الى الرسول الأعظم في فضل الفقر ، ففي كتاب إحياء العلوم للغزالي بـاب الفقر عن النبي أنه قال : « إذا احب الله عبـداً الحب البالـغ لم يترك له أهلاً وولداً » ولو صح هذا الحديث لكان علينـــا ، اذا حرصنا على طاعة الله ومرضاته ، أن نبتهل إليه ، ونسأله ان يهلك الحرث والنسل ، ويسلط علينا الفقر والمرض . أبهذا الحديث وأمثاله دعا النبي الى الاسلام ! وأقنع الناس بصدقـه ورسالته ، ودخلوا في دين الله أفواجـاً ! لقد كان النبي والانبياء من قبـله ، والأولياء من بعده يستعيذون بالله من الفقر ، من بـــلاء الدنيا والآخرة قال احد الأصحاب المقربين الى الرسول : اللهم إني أسألك الصبر ، فقال له الرسول : لقد سألت الله البلاء ، فاسأله العـــافية .

اراد ولاة الحكم ان يـدوم لهم النفوذ والسيطرة ، والظلم والطغيان فأوعزوا الى اذنابهم الخونة ان يضعوا أحاديث يصوغون للناس منها قيوداً واغلالاً تساعدهم عـــلى استعباد الاحرار ، واستغلال الجماهير ، فلفقوا أحاديث على لسان الانبياء مرغبين في الخنوع والخضوع ، والخدمة والاستسلام .

وقد روى الرواة عن الرسول انه قال : خير الامة فقراؤها .

الفقراء احباء الله، وجلساؤه يوم القيامة. اطلبوا الله عند الفقراء، ان الله يستحي من سؤال الفقير وحسابه ، ان اكثر أهل الجنة الفقراء ، واكثر اهل النار الاغنياء ، الى ما هنالك من الاحاديث الدالة على ان الفقراء ـــ وهم الأكثرية الغالبة ـــ اطيب العناصر واقربها الى الحق ، وابعدها عن الباطل .

كان الفقراء ، وما زالوا القوة والعدة في يد كل مصلح يريد الخير والنفع لأمته ، فيهم انتصر محمد ﷺ على الظلم والشرك ، ومنهم حواريو السيد المسيح عليه السلام ، ولولاهم لما تحررت الشعوب من طغاة الاستعمار ، ولما عمل بحق من حقوق الانسان ، اما المترفون الذين لا يتورعون عن الحرام فهم اعداء الانبياء والانسانية ، وحجر عثرة في سبيل كل تقدم واصلاح قال الله سبحانه « وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها إنا بما ارسلتم به كافرون » كفروا بالعدالة والحرية ؛ وآمنوا بالسلب والنهب ، بكسب المال من غير حل ، وانفاقه في غير حل ، بكسبه من الغش والتدليس والاحتكار ، وتبذيره على الفسق والفجور .

واذا كان الغنى او الافراط فيه يبعث على الطغيان فان الفقر يضعف المرء عن القيام بالواجب والخير كل الخير عند اهل البيت أن يكون للانسان رزق حلال يكفيه ، لا غنى يطغيه ، ولا فقر

يشقى به ، وكان الامام يقول في دعائه : « اسألك اللهم الرفاهية في معيشتي ما ابقيتني معيشة اقوى بها على طاعتك ، وابلغ بها رضوانك واصير بها الى دار الحيوان ، وارزقني رزقاً حلالاً يكفيني ، ولا ترزقني رزقاً يطغيني ، ولا تبتلني بفقر اشقى به » .

وقال الامام الصادق : ان النبي ﷺ قال: ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ... أللهم ارزق محمد وآل محمد ومن أحب محمداً وآل محمد العفاف والكفاف .

وصل الى أيدي أهل البيت أموال طائلة فوزعوها على المعوزين، وابقوا منها لأنفسهم الكفاف ، كانت غلة الامام أربعين الف دينار جعلها كلها صدقة ، مر ذات يوم على جماعة من قريش ، وعليه قميص مخرق ، فسمعهم يقولون : أصبح علي ولا مال له فأرسل الى وكيله على املاكه ان لا يوزع من الناتج شيئاً كما كان يفعل ، وان يبيعه بكامله ويرسل اليه الثمن ، ولما اجتمعت عنده الاموال بعث الى رجل رجل منهم يدعوه، ولما حضروا ضرب المال برجله فانتشر هنا وهناك ، فقالوا : ما هذا يا أبا الحسن ؟ قال: هذا مال من لا مال له ، ثم أمر وكيله أن يوصل المال الى من كان يصلهم به .

وسمع الحسن رجلا يسأل الله ان يرزقه عشرة آلاف

درهم ، فذهب الى منزله وبعث بها اليه" وكان معاوية يرسل الى الحسين مليون درهم في كل سنة فيأخذها ويوزعها على الأرامل والايتام الذين قتل معاوية آباؤهم في صفين ، ويعيش هو عيش الكفاف ، وكان الامام زين العابدين يعول مئة بيت ، ولما مات قال اهل المدينة : ما فقدنا صدقة السر حتى مات زين العابدين ، وكان الامام الباقر يطعم الناس ويكسوهم ويوزع الاموال من خمس مئة الى الف لكل انسان ، وكان الامام الصادق يطعم الناس ولا يبقي لعياله شيئاً ، وكان الامام الكاظم يعول اكثر من خمس مئة نفس .

وكلمات أهل البيت في ذم الحرص والتكاثر والتكالب اكثر من ان تحصى، وكلها تدور حول محور واحد، هو ان ليس للانسان أي انسان من هذه الحياة الا ما يكسبه من حلال. ويظهر من بعض أحاديثهم الحث على الزهد وترك هذه الدنيا الفانية ، وانها لا تستأهل الاهتمام والعناية ، ولكن هذه الاحاديث تهدف بحقيقتها الى النهي عن طلب الزيادة عن مقدار الحاجة ، وعن كل سبيل تؤدي الى البغي والظلم والحرام ، قال الامام الباقر : ما ذئبان ضاريان في غنم ، ليس لها راعٍ ، هذا في اولها وهذا في آخرها بأسرع فيها من حب

المال . يشير الى الفوضى تترتب على النظام الجائر الفاسد يتيح الفرصة الى الغش والاستثمار .

وإليك هذه الصورة الرائعة جاءت على لسان ابن عباس قال : إن أول درهم ضرب في الأرض تناوله ابليس وقبله ومسح به عينيه ووجهه وقلبه ، وقال له : بأبي أنت وأمي يا قرة العين وثمرة الفؤاد ، إني لا أريد من ابن آدم بعد اليوم أن يعبد صنماً ، حسبي حسبي أن يعبدك ، بك أغوي وأفسد ، وبك أظلم وأجور ، وبك أدخل النار معي من أريد .

فرق واضح بين من يؤله المال وبين من يتخذه وسيلة للوقاية من الأخطار وعوارض الحياة ، إن عباد المال أكثر فساداً وأسوأ أثراً من عباد الأوثان ، فضرر هؤلاء يختص بهم وحدهم ، ولا يتعدى الى غيرهم ، إما اولئك فضررهم يعم الناس اجمعين ، ويبقى أجيالاً . ومجمل القول ان أهل البيت يعبرون عن الموضوع الواحد بأساليب تختلف باختلاف المناسبات ، فاذا أردنا أن نعرف رأيهم في شيء فعلينا أن نحيط بجميع أقوالهم المتعلقة به ، والا كنا كمن يكفر ببعض ويؤمن ببعض ، ومن الأمثلة على أن كلامهم يفسر بعضه بعضاً قول الامام الصادق : من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً . نجد تفسيره في قول الصادق : ليس

لخالص شيعتنا في دولة الباطل الا القوت، أي ضيق العيش، لأن السلطان يطاردهم ويسد عليهم مسالك الحياة، فيصبحون من الفقراء والمعوزين، ولو أخذنـــا بظاهر الكلام الأول وفسرناه مستقلاً لكان أقبح ذم لعقيدة التشيع، حيث يكون المعـنى أن التشيع بذاته وطبعه يستتبع الفقر الذي هو الموت والكفر. خاشا الحق وأهله.

وبالتالي فان طلب المال في نظر أهل البيت يكون حسناً، ويكون قبيحا، لأنه مقدمة لغيره، وليس بغاية في نفسه، فـــان أدى حتماً الى الحرام فهو قبيح مذموم، وان كان مقدمـة لواجب فحسن مشكور.

الاسلام والاقتصاد



لم يكن الاقتصاد قبل القرن الثامن عشر علماً مستقلاً ، ولم تعالج مسائله معالجة علمية ، كما هي الحال اليوم حيث يتحدث علماء الاقتصاد عن موارد الأمة ونفقاتها ، عما ينتج النـــاس ويستهلكون .

وُجد الاقتصاد منذ وُجد الانسان ، أو منذ وجدت الحياة الحقيقية للانسان ، وإن له واقعاً صارماً لا يمكن تجاهله بحال ، ولكن النظام الشامل للاقتصاد لم يوجد قبل آدم سميث « ١٧٢٣ ـ ١٧٩٠ » الذي يعتبر ـــ على ما قيل ـــ المؤسس الاول لهذا العلم.

دعت الاديان الى العدالة والرحمة ، وأمرت بالاخـــاء والمساواة، نهت عن الظلم والجشع وحب المال، ولكن هذا شيء وعلم الاقتصاد شيء آخر ، فلقد ورد في مطاوي كلمات المؤرخين والفلاسفة والساسة والمشترعين آراء عن العلاقات الاقتصادية

بين الناس ، وبينهم وبين الدولة، ولكن واحداً من هؤلاء لم يذكر رأيه بوصفه مذهباً اقتصادياً ، بل ذكره بوصفه جزءاً من التاريخ أو الاخلاق أو التشريع ، فقد حوى التشريع ، وبخاصة مجموعات القوانين الحديثة، حوت مواداً تتصل بالزراعة والصناعة والجمارك والتجارة، وما إلى ذلك من أسباب الثروة كما حوت مواداً تتعلق بالبناء والطب والصيدلة، وليس معنى هذا ان التشريع يحوي هذه العلوم بكاملها ، وان من درسه يصير عالماً بالزراعة ، وعالماً بالتجارة ، ومهندساً ، وطبيباً وصيدلياً .

بعد هذا التمهيد ننتقل بالكلام الى الاسلام والاقتصاد . ليس في علوم الاسلام علم يسمى علم الاقتصاد ، لما قدمنا من أن هذا العلم لم يُعرف قبل القرن الثامن عشر ، وانما للاسلام شريعة تخصص لها آلاف العقول ، وتأسست لدراستها عشرات الجامعات قديماً وحديثاً ، منها في عصرنا هذا جامعة الأزهر في مصر ، وجامعة جامع الزيتونة في تونس ، وجامعة النجف في العراق ، وجامعة قم في ايران ، كما أن في كثير من جامعات الحقوق الحديثة فرعاً خاصاً بدراسة الشريعة الاسلامية .

وأبواب هذه الشريعة تنقسم إلى اقسام .

الأول: لا يتصل بالمال من قريب او بعيد، كالوضوء والغسل

والتيمم والصوم والصلاة والعقوبات الأدبية .

الثاني : لم يقصد منه المال ابتداء ، ولكن يستتبعه بالواسطة كالحج ، والسبق والرماية [1] .

الثالث : ما يقصد منه المال بالذات ، كالزكاة والتجارة والاجارة والشركة والدين والرهن والجعالة ، والمزارعة والمساقاة واحياء الموات والارث ، وأسباب التغريم والضمان والوقف وأكثر مسائل الوكالة والوصاية والحجز .

الرابع : يتعلق بالسياسة كاختيار الحاكم والموظفين ، وإقامة الحدود وفصل الخصومات .

وينحصر كلامنا في ما يدخل في باب الأموال ، وهو القسم الثالث ، ومنه الزكاة ، وهي أشبه بضريبة الدخل ، يجب على الاغنياء أن يؤدوها من أموالهم وفاء لحق الله عليهم ، ويؤيد أنها ضريبة، لسان ما جاء في القرآن الكريم « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم .. في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ومثلها أو

---

(١) السبق ان يتراهن اثنان او اكثر على اجراء الخيل ، وما شابهها في حلبة السباق ، لمعرفة الفرس الاجود ، والفارس الامهر ، والرماية مراهنة على المناضلة بالسهام ، لمعرفة الحاذق بمواقع الرمي ، على ان يكون للسابق والرامي المصيب عوض معلوم ، والفائدة المقصودة من تشريع السبق والرماية هي التمرين على النضال ، والاستعداد للقتال ، اما المال فوسيلة للترغيب .

قريب منها الجزية ، والمال الذي يصالح عليه عدو المسلمين ، وما يؤخذ من التجار غير المسلمين[1] ، وسائر الأموال التي تدخل بيت المال .

أما التجارة والاجارة ، وما الى ذلك فتكلم عنهـــا فقهاء الاسلام من الوجهة التشريعية، وراعوا إرادة الطرفين ، وحافظوا على كل واحد منهما ، واعتبروا العقد الصحيح شريعةالمتعاقدين. كانت المعاملات بين الناس قبل ان يكون الاسلام ، وكان فيهـا كثير من الشوائب والمحاباة ، ولما جاء الاسلام هذبها وطورها ، فقلم وطعم ، وربطها جميعاً بالدين والاخلاق ، بالحق والعـدل ، أقر الاسلام الأسباب الاربعة للملك : الارث والبيع والهبـة واحياء الارض الموات . أقر الملك ونهى عن الاحتكار ، وأحل البيع وحرم الربا ، وجعل الحق في حيازة الأرض لمن سبق إلى إحيائها ، شريطة أن لا يضر بصالح الجماعة ، وأوجب وفـــاء الدين، ورد الوديعة والعارية، وغرم الغاصب والسارق والمفرط ، وأين هذا من علم الاقتصاد ! . انه فقه وتشريع ليس غير، والفقه

---

(١) قال العلامة الحلي في كتاب التذكرة : اذا حمل غير المسلم وغير الذمي مالا للتجارة والربح الى بلاد المسلمين فرضت عليه ضريبة عشرة بالمائة بدلا من ارباحه من المسلمين .

الاسلامي كامل شامل لجميع نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهو يرتكز على مباديء تنفي عنه الظلم والعدوان، وهذا وحده كاف لأن يضمن له البقاء والنمو على مدى الازمان، ولكن لا مجال ان نفسره بجملته على أساس مذهب اقتصادي حديث ، لان للفقه الاسلامي ذاتيته المستقلة ومميزاته الخاصة ، أما إتفاق بعض مسائله مع الاشتراكية ، وبعضها الآخر مع الرأسمالية فلا يخرجه عن طبيعته واستقلاله ولا يجعله اشتراكياً ولا رأسمالياً ، بل ان فقهاء الاسلام قد يعتبرون الشيء الواحد ملكاً عاماً بلحاظ ، وملكاً خاصاً بلحاظ آخر كالارض ، حيث قالوا : اذا أخذ المسلمون أرضاً من غيرهم بالقهر والغلبة فهي لكافة المسلمين من دون تفاضل بين من قاتل ، وبين من لم يقاتل، ومن وجد ومن سيوجد واذا أسلم أهل الارض طوعاً فهي ملك لمن في يده يتصرف بها كيف شاء ، وهذا التفصيل لا يتفق مع الاشتراكية ولا مع الرأسمالية .

وقسم النبي وعلي وأبو بكر العطاء بين المسلمين بالسوية ، وفضل عمر بعضهم على بعض ، فهل لقائل ان يقول بأن النبي وعليا وأبا بكر كانوا شيوعيين ، وكان عمر غير شيوعي .

من عادتي أن امر كل يوم على ثلاث مكتبات ، مكتبة الأرز ومكتبة هاشم ، ومكتبة الاندلس ، وقد ترك لي أصحابها حرية التصرف ، فأستعرض الكتب وأقلبها ، وارفع وأضع فان رأيت كتاباً يبحث في موضوع يهمني أخذته معي الى البيت، فان أعجبني أبقيته ، ودفعت لصاحب المكتبة ثمنه ، والا أرجعته الى مكانه وكانت تثير انتباهي واهتمامي الكتب التي تبحث عن الاوضاع الاقتصادية في الاسلام ، كنت اقرأها بامعان ، ولكن لم أر فيها غير احاديث وكلمات مأثورة مثل قول الرسول ﷺ : « ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله ، اموت واترك منه قيراطين » وقول الامام علي بن ابي طالب (ع) : « ما جاع فقير الا بما متع به غني » وقول ابي ذر : « اذا ذهب الفقر الى بلد قال الكفر خذني معك » وفتوى ابن حزم : « اذا مات رجل جوعاً في بلد اعتبر اهل البلد قتلة له ، واخذت منهم دية القتيل » وما الى ذلك من الاقوال والاحكام التي تنم عن النزعة الانسانية في الشريعة الاسلامية ، وقد حاول اولئك الغيورون ان يستنتجوا من هذه النزعة نظاماً اقتصادياً للاسلام يتفق مع احد المذاهب الاقتصادية المعروفة اليوم . وقدمنا

أن الرحمة والانسانية شيء ، وعلم الاقتصاد شيء آخر .

وبالتالي فنحن نقدر ونشكر من كتب ، ومن سيكتب عن الاقتصاد في الاسلام ، ونتمنى ان ينظر اليه من خلال قوله تعالى : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » لا من خلال مذهب من المذاهب الاقتصادية الحديثة .

لا عمل بعد اليوم



ان الذين رصدوا خطوات الحياة منذ درج الانسان على وجه الارض ، واستعرضوا الماضي يدركون ان جيلنا هذا لم يستقل بخلق المدنية الحديثة وايجادها ، وانما هي نتيجة لازمة لاطراد تقدم الانسان ورقيه على سلم التصاعد منذ وجد حتى الآن ، فالسلف شريك الخلف في كل ما تحويه المدنية من أفانين وأعاجيب . إن حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر هي وراثة الثاني للأول ، في جميع أشيائه المادية والمعنوية ، إن حياة الانسان من بدايتها إلى نهايتها بناية واحدة ، وكل عصر هو حجر في بنائها ، إذن نحن نعيش بالماضي والحاضر معاً ، كما ستعيش الأجيال المقبلة بنا وبالمستقبل .

لمن هذه الأنظمة والقوانين التي ترتكز عليها السياسة ؟ ومتى نشأت هذه الأديان التي شيدت لها المعابد والمعاهد ، ونبتت

بذورها وأينعت في كل قلب حتى سيرت الأمم والأفراد في مسالكها الخاصة والعامة ؟ وأين أرباب هذه الألوف من الكتب التي فرضت نفسها على الكليات والجامعات؟ أما منشأ اللغات وتطورها فعلمها عند ربي ، فأي مادة تقع عليها العين نجت من يد الماضي ! وأي روح لم تسترشد بحكمته وتهتدبسنائه ! وكم حوت كنوز آبائنا العرب من جواهر الحكمة فأضاعها ورّاثها الأقربون وانتفع بها الاباعد الغاصبون ، واتخذوا من من ثمارها وسيلة الى الكبرياء والتعاظم علينا وهي لنا ومن ميراثنا الذي ذهلنا عنه حتى اصبح فريسة الذئاب .

قرأت في مجلة المختار كلمة بعنوان « أطع هـذا الحافز » للدكتور وليم مولتون ، وهي على طولها وعرضها تتلخص بجملة نطق بها أحد أبطال الطف الذين ناصروا الحسين بن علي ، وهو عابس بن أبي شبيب البطل العربي ، قالها عندما رأى السيوف والرماح والسهام والأحجار تنهال وتتراكم على الحسين وأهل بيته وأصحابه ، فأجج هذا المنظر في نفسه شعلة جعلت الدماء تشب في عروقه كاللهيب المضطرم ، وخُيل اليه أنّ السماء والأرض قد استحالتا إلى دخان ورماد ، فنظر إلى مولى كان معه يدعى شوذباً ، وناداه يا شوذب ما في نفسك أن تصنع اليوم ، قال شوذب :

أقاتل حتى أقتـــل دون ابن رسول الله ، قال عابس ذلك الظن بك ـــ إنه لا عمل بعد اليوم ـــ حكمة بالغة ليس كمثلها شيء إلا العمل بها ، ولو قالها غربي لقرأتها في كل صحيفة وسمعتها من كل لسان ، ولكنه منا وعربي مثلنا .

وصدّق شوذب القولَ بالفعل فقاتل حتى قتل ، وماذا فعل عابس الذي نطق بهذه الحكمة الخالدة ـــ لا عمل بعد اليوم ـــ تقدم من الحسين وقال . أما والله ما أمسى على وجـــه الارض قريب او بعيد أحبّ عليّ منك ، ولو قدرت أن أدفع عنك القتل بشيء اعزّ عليّ من نفسي لفعلت ، ثم مضى إلى المعركة فعرَفه رجل من اصحاب ابن سعد يُدعى ربيع بن تميم وكان شاهده مع الامام علي في صفين ورأى منه الأعاجيب ، فصاح ربيـــع بأصحابه : أيها الناس هـذا اسد الاسود لا يخرجن إليه احد ، فأخذ عابس ينادي ألا رجل فهابه القوم ، فنادى ابن سعد ويلكم ارضخوه بالحجارة فأنهالت عليه من كل جانب ، فلما رأى عابس ذلك ألقى درعه ومغفره وشدّ عليهم ، قال ربيع رأيته والله يطرد أمامه اكثر من مائتين ، ثم تكاثروا عليه فقتلوه ، واختصم الجيش في قتله وأدعاه الجميع ، فأصلح ابنُ سعد بينهم بقوله : هذا لم يقتله واحد كلكم قاتلـه ، فهدأت الفتنة .

قتل عابس وضحى بنفسه في سبيل مبدئه وإحياء عقيدته ، ومات شهيد الحق والفضيلة ، وبلغ بعمل ساعة ما لم يبلغه غيره بعمل الدهر كله ، وحاول ابن سعد أن يصرع الاقمار بالاحجار فهوت على رأسه وقلبه، ترجمه بها يد التاريخ ما وجد له قارئاً أو سامعاً .

إن نداء — لا عمل بعد اليوم — هو الشعار الوحيد الذي يعبر عن مبدأ شهداء الطف وعقيدتهم التي من أجلها نصبوا مهجهم هدفاً للسهام والرماح دون الحسين ، وهل تجدي الاعمال كلها بعد قتل الحسين ! اذن العمل كله في هذا اليوم بل في هذه اللحظة التي ما زال الحسين فيها حياً .

وقد ندم التوابون بعد قتل الحسين على تركهم نصرته ، فنهضوا وثاروا وقتلوا ، ولكن عملوا بعد قتل الحسين ، ولا عمل بعد قتله إلا الحسرة والتلهف ، قال شاعرهم عبد الله بن الحر :

فيالك حسرة ما دمت حياً
تردّدُ بين حلقي والتراقي
فلو فلق التلهف قلب حيّ
لهمّ اليوم قلبي بانفلاق

فقد فاز الألى نصروا حسيناً

وخـاب الآخرون الى النفاق

وهذا تفسير قول أبي الشهداء ــ لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا ندماً ــ لم يستفد من هذا الدرس الذي هو أبلـغ دروس الحياة ، سوى أبطـال الطف الذين تسابقوا الى الموت بين يدي الحق والفضيلة فرحين مستبشرين .

وبين هؤلاء الابطال شبه كبير من الوجهة النفسية ، فدرس بعضهم يوقفنا على حقيقة الباقين لا نستثني منهم سوى رجـل واحد ، هو الضحاك بن عبد الله المشرقي ، فانه لازم الحسين من أول يوم حتى اذا لم يبق مع الامام الا اثنـان الضحاك ثالثهم ، استأذن الحسين فأذن له فركب فرسه ونجا ، حاول الضحاك ان يلائم بين ارادة الحياة واحترام العقيدة ، وأن تسالم كل واحدة جارتها ، ولما وقع بينهما العداء والصراع قدّم مصالحه الشخصية على عقيدته ، على عكس النتيجة التي انتهى اليها الحر الرياحي .

تطوع الحر بن يزيد الرياحي في جيش ابن زياد لحرب الحسين ، ولمـا أيقن أن الحسين مقتول لا محالة انسحب من جيش الكوفة وصحب معه ولده الشاب بكير وانضما الى الامام وقتلا معاً بين يديه ، لقد كان في الحر حنكـة ومرونة الى جانب

ايمانه القوي ، فحاول ان يؤلف بين ايمانــــه وتقلبات البيئة والظروف ، فقــال في نفسه ـــ أصانع القوم بمـا لا ينفعهم ولا يضر الحسين كي لا يظنوا أني خرجت من طاعة ـــ ولمـا امتنع عليه الوئام بين احياء العقيدة وارادة الحياة استجاب الى صوت ضميره الحي وقام بواجب الحق فضحى بحياته وحياةولده في سبيل احياء ايمانه الصادق .

قدم الحر عقيدته على حياته ، وقدم الضحاك حياته عـــلى عقيدته ، ولم يكن هذا هو الفارق الوحيد بين الرجلين ، فقد بعث منظر القتل والقتلى في نفس الحر الشجاعة والاقدام على الموت بينما بعث في نفس الضحاك الجبن الذي أدى بـــه الى الهزيمة والفرار . فرّ الضحاك رغبة في البقاء على نفسه وأهله ، وقدمالحر ولده الشاب الى المذبحة طيب النفس ، ولمـا رآه قتيلاً يتخبط بدمه قال: الحمد لله يا بـني الذي نجاك من القوم الظالمين ومن عليك بالشهادة بين يدي امامك .

ان تطوع الحر في جيش ابن زياد وموقفه من الحسينباديء ذي بَدء لا يدل علىعقيدتهودخيلة نفسه السامية ، كما ان انضمام الضحاك الى الامام منذ اللحظة الاولى الى قرب الشوط الاخير لا ينبيء عن زهده في الشهادة لاجـل الحق، بل يشعر بالاقـدام

والتضحية .

من هذه المقارنة يدركُ البصيرُ أن ثوب الوطنية والطنطنة والتهويل ، لا يدل على الاخلاص والتضحية ، كما أن الهدوء وعدم الثرثرة والتشدق بالالفاظ الفارغة لا تكشف عن الخيانة والجبن ولكن :

اذا اشتبكت دموع في خدود
تبين من بكى ممن تباكى

ما أحب الباطل شاباً ولا كهلا

•

في ليلة العاشر من المحرم ، ضُرب للحسين (ع) فسطاط ، ليطّلي بالمسك والنوره ، ولما دخله وقف برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربه الانصاري تختلف مناكبهما، يتضايقان، ليسبق كل واحد صاحبه الى فاضـــل المسك ، فيفوز بما لمسته أنامل الطهر والقداسة ، فيعبق نشره مع نشر الدم الزكي، دم الشهادة والتضحية ، قال : راوي الحديث : فاخذ برير يهازل عبد الرحمن ويضاحكه فأجابه عبد الرحمن دعنا ، فوالله ما هـــذه بساعة باطل . قال برير: والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً . ولكـني لمستبشر بما نحن لاقون ، والله ما بيننـا وبين الحور العين إلا ان يميل علينا هؤلاء بأسيافهم ، ووددت أنهم مالوا علينا الساعة .

ان الباطل في عرف القديسين مثل عبد الرحمن وبرير ان

يختار الانسان الحسن مع القدرة على الاحسن ، فذكر الله في هذه الساعة التي هي اشبه ما تكون بساعة النزع وتسليم الروح خير من الدعابة ، والبكاء اولى من الابتسام ، وما كان عبد الرحمن يجهل بريراً . كيف وقد تخرجا من مدرسة واحدة على معلم واحد ، علي سيد الوصيين وامام المتقين الذي كان يلقنهم دروس الكمال بافعاله قبل اقواله ، ويعلمهم أن الاستخفاف بصغير الذنوب من اكبر الذنوب ، لأنه استخفاف بالله وشرائعه وقوانينه!.

لم تكن تلك الدروس التي تلقاها برير وعبد الرحمن عن المعلم الاعظم الفاظاً تذروها الرياح ، واصواتاً لا تتجاوز الآذان ، بل هي بذور تغرس في النفس فتحيا وتنمو الى أن تصبح غرائز وملكات تحرك أربابها ، وتقودهم الى مرضاة الله ورضوانه .

لقد عرف عبد الرحمن بريراً كهلاً وما عرفه شاباً ، والشباب مظنة الوقوع في الخطايا ، فنفى برير الطيب الذي لم يلغ في حياته كلها بالفاظ اللهو والعبث ، نفى عن نفسه هذه المظنة بحجة لا تعادلها حجة في القوة والصدق — والله لقد علم قومي أني ما احببت الباطل شاباً ولا كهلاً — واي حجة اقوى في الدلالة ، واصدق في الشهادة على سير الانسان وسلوكه من شهادة قومه وعشيرته الذين صاحبوه كبيراً وصغيراً ، وخالطوه غنياً وفقيراً ،

ورأوا أفعاله ، وسمعوا أقواله في جميع أطواره وأدواره في سره وعلانيته ، ورضاه وغضبه ، وحزنه وسروره ، ونعيمه وبؤسه ، لقد تمكن برير من نفسه وتغلب على شهواته في دور شبابه ، دور طفولة العقل ، والاستسلام الى الملذات والأهواء ، فهو كامل في شبابه ، كامل في كهولته ، لم يرتكب منكراً ولم يقترف سيئة لا اولاً ولا آخراً . وما أحب باطلاً ابداً ، وهؤلاء قومه وعارفوه يشهد كبيرهم وصغيرهم . أنه منذ صغره اهتدى الى سبيل الرشد والسداد ، يستبق الخيرات ، ويسارع الى المكرمات ، يناصر الحق والعدالة ، ويحارب الظلم والعدوان .

ومن اقواله وهو في معركة الطف .

يعرف فينا الخير أهل الخير
اضربكم ولا أرى من ضير
كذلك فعل الخير من برير
وكل خير فله برير

لقد ارتكز حبه الخير ، وبغضه الشر على إيمانه القوي ، وعقيدته الراسخة كما ارتكز لينه ولطفه ، ورحابة صدره على عظمته في شخصيته ، وثباته في عزمه ، وثقته من مقدرته وشجاعته.

كان برير يوم الطف كلما تكررت الفظائع من

العدو يقف منذراً ومحذراً عاقبة البغي مذكراً بالله تعالى وأهل بيت الرسول ﷺ بقول لين خفيف على النفوس والأسماع ، فما فاه بكلمة في موقف يشعر بهجر او فحش .

فكان في مواقفه كلها متزناً في اقواله كاظماً لغيظه معتصماً بالصبر والاناة ، لذلك عندما اكثر عليهم القول لم يزيدوا في جوابه حرفاً على قولهم : لقد اكثرت الكلام يا برير .

قال لهم في موقف : يا قوم اتقوا الله فان ثقل محمد ﷺ قد أصبح بين أظهركم ، وقال في موقف ثان : أفجزاء محمد هذا !؟ وفي ثالث لا أفلح قوم ضيعوا ابن بنت نبيهم أف لهم غداً .

ولما حمل جيش البغي على الحسين واصحابه (ع) انقض عليهم برير كالصاعقة يفريهم بسيفه ويقول : أضربكم ولا أرى من ضير .

هذه ألفاظه ، وهذا أسلوبه وخطابه مع قوم ما وضعت ألفاظ السباب واللعن إلا للدلالة على خساستهم . إن تلك الفظائع لم تخلق من برير رجلاً غير برير فهو هوذاك الوادع المتواضع والزاهد الخاشع الداعي الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإذا كان برير عظيماً فكيف يفوه بالحقير الذي يستطيع النطق به الطفل الصغير ، والمرأة الضعيفة ، والسفيه الفاجر ، إذا كان

برير عظيماً فليدع الكلام للسيف وحده. برز برير لقتال جيش الظلال وبين جنبيه قلب يستبشر بالموت استبشاره بعناق الحور العين، فلم يدن أحد منه لشجاعته وهيبته، فكان يحمل على الاعداء ويفرون من بين يديه خشية من لقائه، فيناديهم اقتربوا مني يا قتلة المؤمنين، اقتربوا مني ياقتلة اولاد رسول رب العالمين، ولما عجزوا عن مقاومته وجهاً لوجه اغتاله كعب بن جابر بطعنة رمح في ظهره بعد ان قتل منهم ثلاثين رجلاً فأودت الطعنة بحياته الطاهرة الزكية التي شهد لصاحبها الرجال والنساء من قومه وعارفيه أنه ما عرف الباطل شاباً ولا كهلاً، قال بعض من أعان على الحسين (ع) لكعب عندما رآه قاصداً اغتيال برير: ويلك هذا الذي كان يعلمنا القرآن، وأقسمت زوجته لدى رجوعه اليها أن لا تكلمه ابداً، لقد لبى برير دعوة ربه وقدم حياته قرباناً بين يدي الله ورسوله. وفاز بكرامة الدنيا والآخرة.

وذلك هو الفوز العظيم.

درس من تواضع أهل البيت

●

من الصفات البارزة في العظماء أنهم يقومون بأجل الأعمال وأنفعها للناس ، ومع ذلك يتهمون أنفسهم بالتقصير ، ينسون عظمتهم ، ويرفضون أن يكونوا فوق أحد . كان النبي ﷺ يجلس مع القوم فيأتي الغريب ، فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ، وجاء رجل يكلمه فأرعد . فقال له : هون عليك ، انا ابن امرأة كانت تأكل القد . ومن قول الامام علي (ع) في نهج البلاغة « من استثقل الحق ان يقال له ، او العدل يعرض عليه ، كان العمل بهما اثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق ، او مشورة بعدل ، فاني لست في نفسي بفوق ان اخطيء » ومن كلام الامام زين العابدين (ع) كما جاء في الصحيفة السجادية « انا يا إلهي اكثر ذنوباً ، وأقبح آثاراً ، وأشنع أفعالاً ، وأشد في الباطل تهوراً ، وأضعف عند طاعتك تيقظاً ، وأقل لوعيدك انتباهاً وارتقاباً من

أن أحصي عليك عيوبي ، وأقدر على ذكر ذنوبي ، وإنما أوبخ بهذا نفسي طمعاً في رأفتك التي بها صلاح امر المذنبين ، ورجاء لرحمتك التي بها فكاك رقبة الخاطئين » .

أحقيقة ان هناك اخطاء او ذنوباً ، اوهذا ان تواضع وتنزيه عن الزهووالغرور، او شكر لله على نعمة العظمة، اوهو تسبيح وعبادة، او درس للجهال والمغرورين الذين يركبون العجب والكبرياء ، او يركبهم العجب والكبرياء !

لا ريب انه تواضع وشكر وعبادة ودرس ، وفوق ذلك هو فهم للخير فهما كاملاً . إن عمل الخير لا ينشأ عن مجرد معرفة حقيقة الخير ومكانه، بل لا بد من الاخلاص، والمخلص لا يرضى بالقليل من نفسه ، ولا يستكثر شيئاً من جهوده وتضحياته ، وإن كثرت ، وإنما يستكثر اليسير من سهوه وذهوله ، وإذا إخفق في عمل من أعماله لا يسب الناجحين ويشتم اعراضهم ، وإنما يستخرج دروساً نافعة مفيدة من هزيمته وإخفاقه ، وإذا حقق للناس جهة من جهات النجاح والصلاح انصرف عنها وفكر في السبيل إلى تحقيق الجهات الأخر ، ان العارف المخلص لا ينظر إلى الوراء ، إلى ما مضى من عمل فيذكر الناس به مفتخراً وممتناً ، بل يضاعف النشاط، ويثب الى الامام ليكسب نصراً جديداً .

يعمل ولا يتكلم، واذا تكلم تكلم عن تقصيره واهماله خشية التبجح والدعاوي الفارغة، وخشية التساهل فيما يجب اتكالاً على ما كان يعمل، ويتوارى وراء عمله، ولا يقطع الطريق على الناس بما يعلنه عن آثاره ويضيفه الى نفسه من الفضائل والكرامات، يتوارى حتى تحسبه كسائر الناس، فاذا جد الجد وهرب من المعركة من هرب بقي وحده في الميدان يصول ويجول يكتم فضائله، ويذيع فضائل الناس، يعلن عيوبه ويستر عيوبهم، لا يحقد ولا يحسد، لأنه طيب السريرة، يحب الخير للجميع. ولا يسب ولا يشتم، لأنه كبير يأبى ان يفعل او يقول ما تقدر عليه الجهال والاطفال، ولا يخادع ولا يرائي، لأنه لا مأرب له إلا الحق، ولا يستكثر نعمة دخلت على غيره مهما كان نوعها، لأنه لا يشعر النقص من نفسه اذا رأى نعمة على سواه.

ان العظيم يخدعه الدعاة الماكرون، ولا يخدعه عن نفسه شيء، ان الساذج الفطير يستعظم الحقير، ويستكثر القليل من نفسه، وما زلت أذكر النشوة التي أصابتني عندما نشرت اول مقال، ورأيت اسمي مطبوعاً، ثم تبين لي، ولله الحمد، اني كنت فطيراً، وما زلت أشعر هذا الشعور على الرغم من مرور خمس وعشرين سنة. والله سبحانه اسأل ان يكون شعوري هذا خطوة للسير

الى الامام .

ان بغية العظيم ان لا يرى في الحياة مجالاً للخطأ والجريمة، ولا للمآسي والنكبات ، أن يحوّل الأوضاع من سيء الى حسن، ومن حسن الى الأحسن ، فاذا لم تتحقق هذه الامنية خاف ان يكون احد المسؤولين، لأنه جزء من كل ، وفرد من جماعة ، فان لام لام نفسه قبل ان يتجه باللوم الى غيره .

ومن ذا الذي يدرك جميع غاياته ، ويعلم كل شيء ، ولا يخطيء في شيء ؛ لقد اخطأ سقراط وافلاطون وارسطو في الفلسفة ، وأخطأ سيبويه والخليل والكسائي في النحو ، وأخطأ علماء التاريخ في التاريخ ، وأخطأ الأطباء في الطب ، أما أخطاء الساسة فلا يحصيها العد . ان العظماء يدركون هذه الحقيقة ، بل يدركون أنهم لا يستطيعون أن يعلموا بعض الشيء الا بعد جهد جهيد .

قال نهرو العظيم لابنته: « لست أحب أن تأخذي ما حدثتك به هنا قضية مسلماً بها ، فقد يكون ثمة خطأ كبير في بعض حسابي»

وبالتالي فان المعرفة والتواضع هما نعمة من أجلّ نعم الله سبحانه ، وأعظمها قدراً ، يخص بها الطيبين من عباده .

الوجود خير من العدم

قال استاذنا : من الحقائق الثابتة أن الوجود خير من العدم .

ثم قال : لعلكم تتساءلون : ما قولك بوجود البعوضة والحية والعقرب ، وما اليها من الحشرات السامة ، فانّا نبذل كل جهد للفتك بها ، وإزالتها من الوجود ! ؟

وأجاب الاستاذ بأن الوجود خير بذاته وطبيعته مهما كان نوعه ، والعدم شر او أن الوجود خير منه على الأقل ، ولا يكون الوجود شراً إلا اذا كان سبباً لزوال شيء موجود ، ولما كانت الحية والعقرب والبعوضة تستتبع زوال الصحة وجب إزالتها .

تذكرت هذا الدرس ، وعهدي به يقرب من ٢٥ سنة ، تذكرته ، وأنا أقرأ المقالات الطويلة العريضة في الصحف المصرية داعية الى تحديد النسل ، إن كتابها يرون العدم خيراً ، والوجود شراً ، إنهم لا يقتلون البعوصة حفظاً على الانسان ، بل يقتلون

الانسان فرار من أثراً البعوضة ، لقد جهلوا أو تجاهلوا فائدة العلم الذي جعل من الخشب لباساً . ومن الطحلب طعاماً ، ومن الدرهم قنطاراً ، تجاهلوا فائدة العلم ، ولم يروا إلا الانتحار بالجملة ، زعموا أن تحديد النسل يخفف من آلام البشرية ، وتجاهلوا أن الغاية من التحديد أن يعيش الذين يحاولون السيطرة على الاقتصاد العالمي دون غيرهم ، لأن السكان اذا ازدحموا في أرض قوي شعورهم بالحاجة الى موادها وخيراتها ، وضاعفوا النضال والكفاح ضد الاحتكار والاستغلال .

قال الامام الصادق (ع) : ان النبي ﷺ قال من أحب أن يتبع سنتي فان سنتي التزويج . وفي حديث آخر ما بني بناء أحب الى الله من التزويج . ومن جملة الدوافع للحث على الزواج الاستيلاد ، كما يدل عليه قول الرسول ﷺ « العزل هو الوأد الخفي » ومعنى العزل انزال الماء في الخارج .

فهرس الكتاب

عيسى يوسف الزبيدي

المصادر

شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد
تاريخ الطبري
البحار للمجلسي
كشف الغمة للاربلي
اوائل المقالات للمفيد
الحقائق في الجوامع والفوارق
للشيخ حبيب آل ابراهيم
الشافي للشريف المرتضى
فجر الاسلام وضحاه لاحمد امين
عصر المأمون لاحمد فريد الرفاعي
دائرة المعارف لفريد وجدي
الملل والنحل للشهرستاني
علي وبنوه للدكتور طه حسين
عبقرية الامام للعقاد
جعفر بن محمد
للاستاذ عبد العزيز سيد الأهل
مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني
تذكرة العلامة الحلي
تفسير الرازي
مستمسك العروة
للمرجع السيد محسن الحكيم
احتجاج الطبرسي
اعيان الشيعة للسيد محسن الامين
الجواهر للشيخ محمد حسن
تفسير الزمخشري
جعفر الصادق ملهم الكيمياء
لمحمد يحيى الهاشمي
الفاروق لمحمد حسين هيكل
العقيدة والشريعة في الاسلام
لاجناس جولد
جعفر الصادق
لاحمد مغنية

محمد يوسف (النجفي)

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	الصواب
٥	٣	بل	و
١٠	٤	بنوه	بنيه
١٥	١١	وكيف	كيف
٢٢	٨	الحسين	الحسني
٤٧	٣	الباحث	الباعث
٤٨	٤	ابي	ابى
٨٤	٦	بوجوده	بوجوه
٩٢	٥	العصور	الاصول
٩٨	٢	بينه	بنيه
١٠٩	٤	صورة	سورة
١١٠	١٣	المارکين	المارقين
١٢٨	٦	الفلات	الغـــلاة

بعض منشورات

دار مكتبة الاندلس للطباعة والنشر

نهج البلاغة

شرح الاستاذ محمد عبده وعليها أهم شروح ابن الحديد
وابن ميثم البحراني

٤ أجزاء ثمن الجزء ٢٥٠ غ.ل

بطلة كربلاء

زينب بنت الزهراء

تأليف الكاتبة الاجتماعية الكبيرة

الدكتورة بنت الشاطىء

أروع قصص البطولة الصادقة لانثى

الامام جعفر الصادق

عرض ودراسة

تأليف الاستاذ

احمد مغنية

بعض منشورات

دار مكتبة الاندلس

للطباعة والنشر

كتب للمؤلف

الوضع الحاضر في جبل عامل	نفـذ
الفصول الشرعية	
مع الشيعة الامامية	(طبعة ثانية)
أهـــل البيت	

تحت الطبــع للمؤلف

- دراسات في الشريعة الاسلامية
- الاسلام مع الحياة
- مذكرات قاضي

• بطلة كربلاء	الدكتورة بنت الشاطىء
• الامام جعفر الصادق	احمد مغنية

الثمن ٢٠٠ غ . ل . او مايعادلها

مطبعة دار الكتب - بيروت